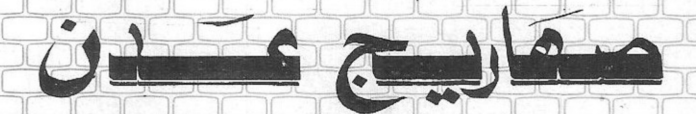
عبدالله أحمد محيرز



المؤلف

الأسم : عبدالله أحمد محيرز

الميلاد : عدن ١٩٣١م .

- بدأ حياته مدرساً للرياضيات في كلية عدن ، ثم نائباً للعميد ثم عميداً لكلية الشعب .

- عمل وزيراً مفوضاً في سفارة اليمن الديمقراطية الشعبية في لندن وقائماً بأعمالها .

- عمل قائماً بأعمال سفارة اليمن الديمقراطية الشعبية ومندوباً دائماً لدى اليونسكو - باريس .

- أنيطت به مهمة تجميع وتصوير المخطوطات اليمنية في مكتبات أوروبا ، وكذلك الوثائق الرسمية المتعلقة بعدن .

- عمل ولا زال مديراً عاماً للمركز اليمني للأبحاث الثقافية ثم مديراً عاماً للمركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف .

- عضو لجنة التراث التابعة لمعهد المخطوطات في المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم .

دار الهمداني
للطباعة والنشر - عدن

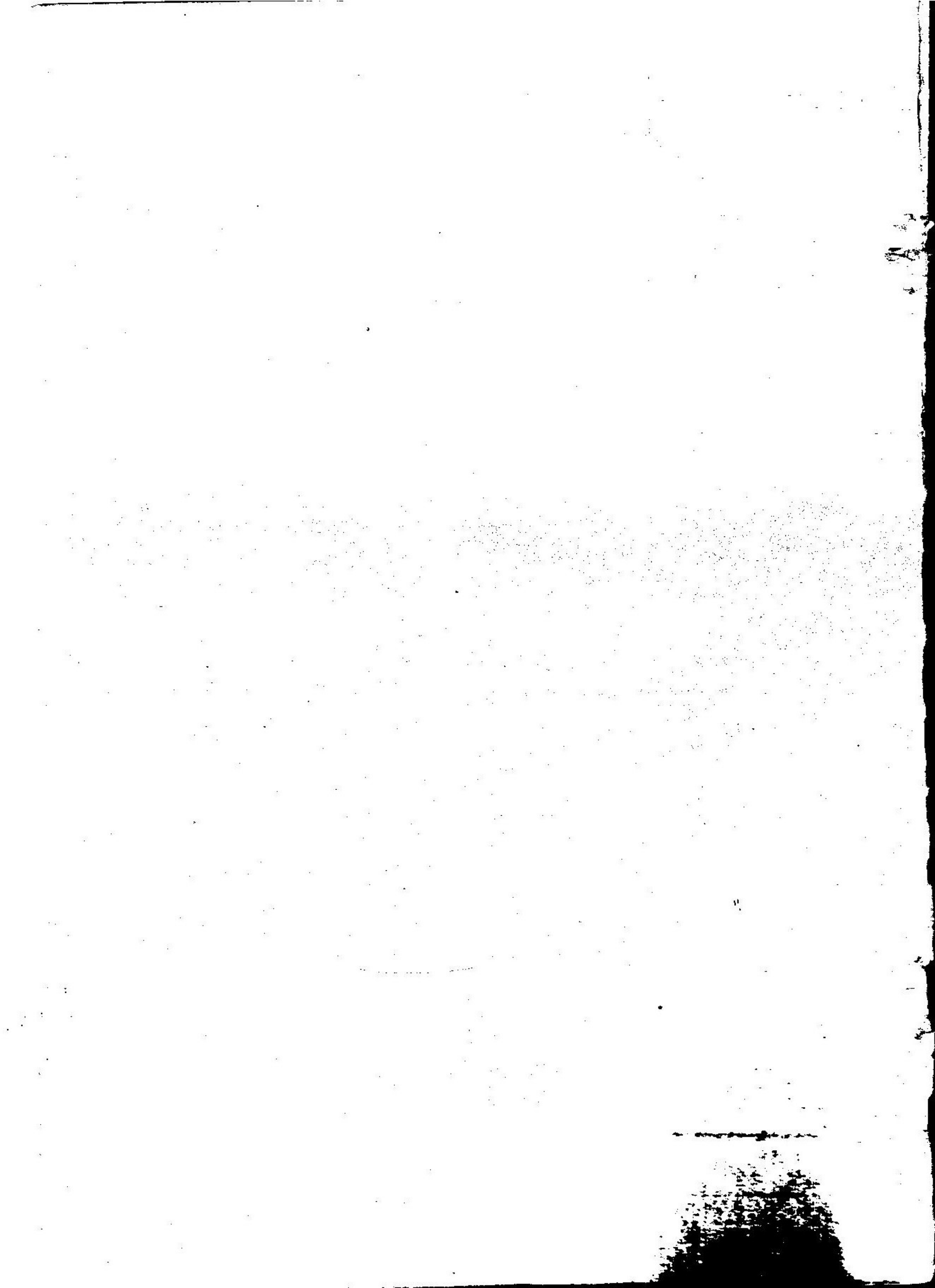


عبدالله أحمد محيرز

عبدالله احمد محيرز
المركز اليمني للابحاث الثقافية والمتاحف
ص. ب. ٥٩٢
عـدن
جمهورية اليمـن الديمقراطيـة الشعبيـة
١٩٨٧م.



منظر نظام الطويلة حالياً



تمهيد

«هذه الخزانات في وادي الطويلة ، مجهول تاريخها ....»

تفاجىء هذه الجملة المبهمة كل زائر للطويلة . كتبت على لوحة مثبتة في جدار بالقرب مما عرف بصهريج (كوجلان) أو الصهريج المربع ، في آخر سنة للقرن التاسع عشر ، لتعريف الزائر بها .

فاذا قصد بهذا التعريف ، خزانات لحفظ الماء ، فتاريخها يرجع الى منتصف القرن التاسع عشر فقط ! . حين نشط البريطانيون بعد استعمارهم للمدينة لترميمها ، وإعادة بنائها ، وقلبها الى خزانات لجمع الماء وحفظه .

ولم تكن كذلك في سابق عهدها !!

وما حدث لها في منتصف القرن التاسع عشر هو تغيير كامل ، قلما تكرر لغيرها - من الآثار في اليمن - شمل إسمها ، وهدفها ، وشكلها . فليس بغريب ، إذا ، أن يجهل تاريخها.

وكيف يمكن تعقب تاريخ أثر ، تغير إسمه ، وتبدلت أوصافه ، وأهدافه التي أنشئ من أجلها ؟

وما قصده الأولون بصهاريج عدن، هي شبكة من الصهاريج داخل المدينة ، رأتها أجيال من الرحالات، والكتاب منذ القرون الأولى بعد الإسلام ، وربما الى القرن الثاني بعد الميلاد . وليس هذا النظام المشهور في الطويلة.

وليس من الضروري البحث عن تاريخ لمثل هذه الصهاريج . فوجودها ضروري في أي زمان ومكان، خاصة ، في مدينة كعدن، شحت آبارها، وتعرض أهلها بحكم موقعها، لخطر الموت عطشاً ، إن هي حوصرت لزمن طويل . بل لابد أن وجودها ـ بدائياً كان ، أو متطوراً ـ قد عاصر البشرية منذ أستيطانها المدينة.

اما نظام الطويلة فلم يكن له هذا الهدف الجامد : توفير الماء في متناول المستهلك . ولكنه بعكس ذلك : نظام دينامي، وتكنولوجيا بارعة ، ووجه حضاري فريد .هو وسيلة لتلقف الماء عبر جدران حاجزة. اما منقورة بصفا الجبل ، أو مبنية بالحجارة والجص في عرضه . تقوم بثلاث مهمات : تلقف الماء ، و حجز الحجارة والطمي الساقط مع الشلالات ، وتوجيه الماء عبر سلسلة من هذه الجدران لتصريفه الى حيث تكون الحاجةاليه : الى صهاريج المدينة.

فنظام الطويلة أشبه بمصارف جبلية لتصريف مياه الشلالات ، وتوجيهها الى المدينة . وهو انطباع تولد لدى من تولوا مسحها والتنقيب عنها . فقد كتب كوجلان في تقرير له عن سير التنقيب :ـ «قد رفع الى مساعدي أنه أكتشف قناة تتخللها خزانات عميقة ، في مسارها من وادي الطويلة الى المدينة».

وقد أصر القائمون بترميمها على اعتبارها صهاريج ، وادى هذا الاصرار الى مسخها نهائياً ، وقلب وادي الطويلة الى خزان هائل.

وفي سبيل تحويل هذا النظام الى صهاريج ، تدخل المهندسون في مسالك المياه . وبدلاً من أن يتزل الماء بحرية ، بنوا حواجز فوق الهضبة هدفها تصفية الماء من الاحجار ، والطمي ، فكانت النتيجة ان حجز الماء وغاض في الهضبة التي تعلو الطويلة . ولم يعد ينزل الى الطويلة كما كان قديماً.

وفي هذا كتب (اينج) مدير الآثار في عدن في ١٩٥٣ مبدياً أسفه لما حصل :- «ولا يمكنني - مع الأسف - انكار أن المهندسين البريطانيين ، أظهروا شيئاً من سوء التقدير . لقد شيدت هذه الخزانات في الأصل لتلقي ما ينحدر اليها من الهضبة ، إضافة الى مصارف لتوجيه كل قطرة ماء تنزل على صفحة الجبال اليها . وقد أهمل هؤلاء المهندسون هذه المصارف ، بل لعلهم في حالات ما أخربوها ».

وفي موضع آخر كتب (اينج) :-

«وقد بنوا عدة حواجز للطمي والحجارة على مجرى المياه المنحدرة من الهضبة ، وسبب ذلك احتقان الماء في الهضبة فغاض فيها .»

وتعطل مفعول الهضبة ، المصدر الرئيسي لوادي الطويلة ، وغيرها من الأودية في المدينة . وتعطل هدف نظام الطويلة ، فلم تعد مصارف ، بل خزانات للماء ، وأنقرضت صهاريج المدينة فلا توجد مصارف توجهه اليها.

ولكن كيف يمكن تصور هذا النظام في سابق عهده ؟

يظهر أن هذه المصارف قد بنيت على ارتفاع معين في الوادي ، ولم في قاع الوادي كما يبدوا لمن رآها اليوم . فهي في الواقع أشبه بما يسمى بالصهاريج (المعلقة) . ترتفع عن قاع الوادي البكر بنفس عمق صهريج (كوجلان) . ويظهر أنه قد تحطم بعضها في الخمسة القرون الاخيرة فنزلت الشلالات مباشرة الى الوادي متجاوزة هذه المصارف . وامتلأ

بالطمي ،والحجارة ، وأرتفع سطحه حتى دفنت نهائياً .

وفي سبيل الوصول الى هذه النتائج ، يقتضي إعادة النظر في بعض الفرضيات التي وضعت عن الصهاريج في بحر قرن من الزمان . وتعديل كثير من المفاهيم التي علقت بالاذهان .

وسيعتمد هذا البحث على دراسة ما يلي :-

١. ملاحظات اوائل الرحلات الى عدن في مطلع القرن التاسع عشر .

٢. استقصاء ما أمكن من كتب التراث ، وما كتب عن أنظمة مشابهة للمقارنة .

٣. دراسات (الكابتن بليفير) . وهو مؤرخ مشهور . قام بالتنقيب وإعادة أكتشاف بعضها ، وأوكل اليه شؤون ترميمها ، وإعادة استعمالها . وقام بوضع قائمة لكافة الصهاريج التي تمكن من حصرها آنذاك . عمل كمساعد للسياسي المقيم ، وتميز عن غيره بثقافة وبعد نظر .

وقد كتب تقريراً جيداً شمل كل الصهاريج المكتشفة في المدينة ، واوديتها . وأرفق دراسته بجدولين . (A) (B)الأول صهاريج الطويلة ومعبد الفرس ، التي تم ترميمها . والثاني ما تبقى منها ولكن لم ترمم .

وكتب كتاباً اسمه تاريخ العربية السعيدة . وهو تاريخ لليمن من قبل الاسلام ، الى احتلال البريطانيين لعدن . وشمل جزءاً منه شيئاً عن الصهاريج .

٤. تقرير قام به مسؤولان بريطانيان كانا يعملان في إدارة الاشغال

العامة بمدينة عدن في مطلع الخمسينيات . وهو تقرير على الرغم من قبوله ببعض الفرضيات الخاطئة ، والقفز الى الاستنتاجات ، إلا أنه تميز بانه قدم أفضل خارطة للصهاريج بوضعها الحالي ، ونقل بامانة مقاطع من مراسلات اوائل المهندسين ، والمسؤلين من ملفات لم يعد لها وجود في الأرشيف المحلي . والواقع بانه دراسة حوّت كثيراً من المراجع التي لا غنى عنها للباحث في موضوع الصهاريج . وإسم هذا التقرير « مسح آثاري وتاريخي لصهاريج عدن» واسم المؤلفين نورس ، و بنهي . وسيرمز اليه هذا البحث باسم تقرير (نورس - بنهي) .

كما كتبا بحثاً آخر عن الاستحكامات الدفاعية في عدن .

لقد عدد (بليفير) في جداوله خمسين صهريجاً في وسط المدينة وأوديتها ، ثمانية عشر منها في الطويلة وحدها . إلا أن رسالة كتبها كبير المهندسين الى (كوجلان) في ١٩ ديسمبر ١٨٥٦ تفيد بان عددها في الطويلة وحدها ٣٥ صهريجاً بدلاً من ١٨ . ويضع تقرير (نورس - بنهي) عددها ١٧ بمافي ذلك أربعة منها مستحدثة ، وواحد خارج الطويلة .

وهذا الاضطراب في التقارير سمة لازمت صهاريج عدن ، ويرجع ذلك الى أن التنقيب عنها كان عشوائياً ، ولم يتخذ طابعاً علمياً ، موثقاً ، يحفظ لها تاريخها . وتقرير (نورس - بنهي) هو أول محاولة لدراستها آثارياً ، قرناً واحداً بعد التنقيب عنها تقريباً . وسجل خارطة لها في الخمسينات أصبحت في الواقع وثيقة تاريخية . إذ تدهورت بعض الصهاريج واختفى واحد ، أو أثنان منها ، بعد نشرها .

ويحوى هذا البحث خارطة أمكن تصورها من جداول بليفير ، وتقارير المسؤلين . وصورة لفنان ، تتخيل الشكل الكلي لها في سابق عهدها مبنية على هذه الخارطة . كما أضيفت خارطة للمدينة تبين مواقع ، كمؤشر لمواقع صهاريج المدينة قديماً ، وآبارها ، وتخطيط المدينة في سابق

عهودها . ويحوي صوراً هدفها التوثيق الى جانب التوضيح . وقد أصبح بعضها نادراً .

وما قام به المهندسون البريطانيون ، لتغيير هذا النظام كارثة .

ولا يمكن أن تعود عقارب الساعة الى الوراء ، وأن يعود نظام الطويلة كما أراده بناته وصانعوه الاصليون . ويمكن فقط إيقاف التدهور الذي يصيبه. وترميم ما تخرب منه . أما هذه الهضبة فيحتاج أمر إعادتها الى نفس فعاليتها ، الى شئ من التروى . إذ لم يعد نزول كل قطرة من الماء الى الطويلة أمر مطلوب ، فقد ضمنت التقنية الحديثة موارد مياه أكثر ضماناً وأستمرارية .

وقد قضي تخطيط المدينة الحالي على كافة السائلات في المدينة . وطغى العمران على كل واد ، وجبل ، وسفح . وطمس كل آثار المدينة .وباختفاء السائلات التي شقت لنفسها طريقاً الى البحر ، يكمن الخطر الذي قد يهدد المدينة عند هطول مطر غير عادي كما حدث في سنة ١٩٦٧ . وربما يكون الخطر أكبر إذا أستمر هطول المطر لمدة أطول . حدث هذا وقد تعطل مفعول الهضبة التي ينزل منها الماء ، فما هو حجم الكارثة إذا انحدرت كل قطرة الى المدينة ، باعادة الهضبة الى حالتها الأولى .؟

لعل ما أرخه إبن الديبع يعطي صورة أوضح بما حدث في سنة ٩١٦ هجرية . « حصل بمدينة عدن ، ولحج ، وأبين ، والسيلة ، وتلك النواحي مطر عظيم لم يعهد مثله ، من نصف الليل الى عصر يوم الأربعاء . وأمتلات الصهاريج كلها حتى تفجرت وزاد الماء زيادة عظيمة ، حتى سال الى البحر من نصف الليل الى آخر النهار ، وأشتد حتى أشفق الناس وخافوا . وسقطت بعدن بيوت حجر كثيرة ، وسقط بيت بها على أهله ، فهلك منهم تحت الردم خمس نسوة ، وعبد ، وسال بولد ليوسف البهنسي . فلم يوجد له أثر . »

حدث هذا قبل خمسة قرون ، وكانت السائلات مفتوحة ، لا يعترض سبيلها شيء ، وصهاريج المدينة موجودة تستوعب بعض الماء . فما الذي سيحدث الآن وقد اختفت الصهاريج والسائلات .؟

ولا يعرف في الوقت الحاضر ما هي المضاعفات التي حصلت خلال القرن الماضي في الهضبة نفسها ؟ وما هي التحولات لمجاري المياه فيها ؟ ومن أى موقع في المدينة سيكون انحدار الماء منها ؟

وجدير بهذه السحابة الذي يثقلها المزن على شمسان ، أن تسوقها الرياح الى حيث الحاجة اليها ، أو - إن هي أمطرت - ان يغيض ماؤها في الجبل وكهوفه . فنزوله إلى المدينة كارثة : أن تغرق المدينة تحت بضعة أقدام من الماء في أحسن الأحوال ، أو أن يخرب أجزاء منها ، وينتج خسائر في الممتلكات . والأرواح في أسوئها .

وأجدر من ذلك أن تمسح هذه الهضبة ، وتدرس بهدف وقايتها من أي طوفان مفاجىء منها .



صورة تخيلية للصهاريج قديماً

مسح تاريخي

يفيد أحد النقوش اليمنية (١) بما معناه «قيلزد قد قدمت مسنداً للآلهة ذات بعدان تكفيراً عن خطيئة ابنتهابتدنيسها صهريج عدن» .

وهذا أول مصدر يذكر صهاريج مقرونة باسم عدن . .وهو مصدر يغري بقبوله تاريخاً لوجودها في أزمنة سبقت ظهور الأسلام . ولكنه قبول يشوبه قدر من المجازفة لعدم تحديد أي من (العدنات) قصدها النقش ، فهو يكفي لنسبة هذه الصهاريج الى (عدن) ما ، ولكن ليس الى عدن أبين : هذه المدينة التهامية الساحلية .

وتصمت المصادر عن أي ذكر لها حتى مطلع القرن الرابع /العاشر الميلادي . على الرغم من أن المدينة قد بلغت شأواً من الأهمية والشهرة ، كسوق تجارية ، وميناء هام . وينفرد الهمداني في كتابة صفة جزيرة العرب بمسح شامل ، ونادر عن موارد مياه اليمن ، ومناهلها ، حريصاً على التدقيق بين المصطلحات المتعددة ، والمتداولة : كالآبار ، والعيون ، والحسي ، والبرك ، والاحواض ، والكرفان ، والمآجل ، والصهاريج .

وأنفرد وحده بمعلومات فريدة ، وهامة عن مصادر شرب مياه عدن . فأشار ـ إضافة إلا أن موردها موضع في خارجها أنه : ـ «بها ذاتها بؤور ، ملح ، وشروب» (٢)

وتحتمل (بؤور) أن تكون جمعاً لبئرة ، ويفسرها القاموس الحفرة لخزن الشيئ .(٣)

ومن المحتمل إذا ، أن تفسر العبارة بوجود برك داخل المدينة للماء .(٤) ولذا فربما كانت البؤور في عهده إما بركاً ، أو صهاريج تدهورت بفعل الأهمال ، حتى صارت بالحفر أشبه . وهو أمر تكرر في تاريخها ، بل لقد اندثرت احياناً ، ودفنت ، وأختفت عن الأعين .

إلا أن فيما كتبه المقدسي - وهو جغرافي معاصر له - في معرض كلامه عن عدن ، واهلها قائلاً :- «ولهم آبار مالحة ، وحياض عدة» ما يؤكد وجود احواض لخزن الماء في عدن منذ القرن الرابع ، وربما قبله .(٥)

وتغلبت على عدن عدة دول في الثلاثة قرون التي فصلت بين عهد الهمداني والمقدسي ، وزيارة أبن المجاور لها في الربع الأول من القرن السابع/الثالث عشر الميلادي . وعلى الرغم من أن ما كتب عن تاريخ هذه الحقبة كان أوفر مما سبق ، إلا أن احداً لم يشر الى الصهاريج على الاطلاق

وبعد هذا العهد يتكرر ذكر الصهاريج في كتب الرحالات ، والمصادر التراثية المختلفة الى القرن العاشر/السادس عشر ، وصارت مرفقاً حيوياً هاماً ، ومعلماً من معالم المدينة من أيام الزريعين الى عهد الاتراك ، ثم انقطع ذكرها زهاء ثلاثة قرون ، حتى نقب عن بعضها في السنين الأولي للاحتلال البريطاني للمدينة .

ويصف إبن المجاور موارد المياه لعدن باسهاب ، ويتحدث عن صهريجين شاهدهما اثناء زيارته في ابتداء دولة بني رسول ، وحدد موقعهما في حى الزعفران : أحدهما عند بئر الزعفران ، وهو بئر لازال موقعه معروفاً ردم بعد الحرب العالمية الثانية ، ويقع في أرض فضاء في آخر شارع الزعفران

الحالي ، ونسب إبن المجاور بنائه الى الفرس . واما الآخر فيقع « على طريق الزعفران أيمن الدرب في لحف الجبل الأحمر إذا حصل المطر تقلب اليه السيل يومين . »(٦) فموقعه - تبعاً لذلك - على مسار هذه السائلة من الطويلة الى البحر ، والتي تلتقي برأس الزعفران شرق الجبل الأحمر؛ وهو التل الصغير الذي يفصل وادي العيدروس عن وادي الطويلة ، وتقع عليه الآن مباني الشرطة المدنية لمدينة عدن . ونسب إبن المجاور بنائه الى بني زريع .

وقد كان - ولا زال - لهذا الموقع أهمية اقتصادية بالغة بالنسبة لعدن . فهو ملتقى لطرق المدينة ، ومجمع لأسواقها ، ولعله كان فيه أكثر من صهريج . إذ كان موقعاً لبيع الماء ، والحطب ، ومحطة لقوافل الجمال القادمة من بادية عدن . يوحي بذلك ما كتبه إبن المجاور عن صراع أحفاد بني زريع :- « وكان يجري بين القوم فتنة عظيمة لأجل الماء والحطب ، وقتال شديد في الدخل ، والخرج ، وذلك في السائلة » (٧)

ويفيد أبن بطوطة عند زيارته عدن في حوالي ١٣٢٩/٧٣٠م ، بعد قرن واحد من زيارة إبن المجاور ، بأن في المدينة عديد من الصهاريج «ولا زرع بها ولا شجر ولا ماء . وبها صهاريج يجتمع فيها الماء أيام المطر ، والماء على بعد منها ، وربما منعته العرب ، وحالوا بين أهل المدينة ، وبينه حتى يصانعونهم بالمال والثياب» . وفي هذا سبب قوي لمزيد من الصهاريج في المدينة لخزن الماء تحسباً لانقطاعه .(٨).

إلا أن فترة زيارة إبن بطوطة لعدن كانت فترة موثقة توثيقاً جيداً ، يمكن استخلاص سبب آخر لكثرة الصهاريج في هذه الفترة . فقد وصل إبن بطوطة الى عدن بعد أن حوصرت حصاراً مستمراً لمدة سبع سنوات . وهي الفترة التي كان الصراع فيه على أشده بين الملك المجاهد الرسولي ، وإبن عمه وأخطر منافسيه على الحكم ؛ الملك الظاهر من سنة ١٣٢٢/٧٢٢م الى ١٣٢٨/٧٢٨ . وصمم المجاهد على استعادة المدينة طيلة هذه الفترة التي بقيت تحت يد الظاهر ، أو معاونيه . وأقتضت استراتيجية الحصار أن يقيم

بعض الجند في مكان ما من حوض وادي لحج يمنع أى امداد الى عدن ، وبعضهم في المباه تحت باب عدن ، وتجري بينهم ،وعسكر الظافر معارك يومية يخرجون اليهم « بخيل ورجال » في حرب دامت سجالاً طيلة هذه الفترة .(٩)وظروف كهذه تحتم خزن الماء على نطاق واسع من مصادر داخل المدينة : من بعض آبارها ، أو ـ كما اشار إبن بطوطة ـ من مياه الامطار ، فتضاعف عدد هذه الصهاريج . ولعل هذا ما حدى بأهل عدن نسبتها الى بني غسان . وهو النسب الذي أتخذه الرسوليون لانفسهم قبيل تغلبهم على اليمن . ولا شك أن مثل هذه الظروف قد تكررت مراراً في تاريخ المدينة الجأت من فيها الاكثار من تشييد هذه الصهاريج .

وتصمت المصادر مرة أخرى عن أي ذكر لها حتى مطلع القرن العاشر الهجري ، حين يؤرخ إبن الدبيع في حوادث ٩١٦/١٥١٠م ، عن نزول مطر شديد في عدن ، إسقط عدة بيوت ، وأغرق عدداً من الناس ، وجرفهم الى البحر :ـ «وإمتلات الصهاريج كلها حتى تفجرت وزاد الماء زيادة عظيمة ، حتى سال الى البحر».

ويفيد نفس المصدر بان الظافر عامر بن عبدالوهاب بنى صهريجاً خارج المدينة ،في قرية المباه تحت باب عدن عده إحدى العجائب ، فقد عدد من مآثره : «مسجد بداخل مدينة عدن ،وآخر بالمباه بظاهر باب البر منها ،وصهريج عظيم بها لم يسبق الى مثله»(١١)

وقد وصف دورات باربوزا ، (وهو معاصر لابن الدبيع ، وربما كان ضمن حملة البرتغاليين على عدن) موقع هذا الصهريج :ـ « ولا يوجد ماء بداخلها على الاطلاق ، ما عدا ما يجلب من بناية ضخمة تقع خارج بوابتها التي تستخدم للخروج الى البر»(١٢)

وقد كتب برتغالي يدعى «رسنديس» أنه كان بالمدينة في عام ١٥٣٠ عدة صهاريج للماء ،وواحد في خارجها ، وانه يجلب الى المدينة ما بين الف

وخمسمائة ، والتي جمل محملة بالماء يومياً . وتدخل هذه الجمال المدينة بالماء في النهار ، ولكن في الليل تصب في صهريج قريب من بيت الماء تحت بابها إذ لا تفتح أبواب المدينة في الليل على الاطلاق (١٣)

وفي منتصف القرن العاشر الهجري ، في سنة ١٥٣٨/٩٤٥ وصف ذلك البندقي الذي رافق سليمان باشا الارناؤوطي في حملته على عدن ، تلك الحملة المشهورة التي غدر فيها سليمان باشا بعامر بن داؤد آخر سلاطين الطاهرين ، وشنقه على صارى سفينته بعد أن استضافه فيها ، واستولى على عدن . وقد وصف البندقي هذه الصهاريج بقدر كبير من المبالغة :- «وماؤها كله من الامطار ، يحفظ في حفر ، وصهاريج يبلغ عمقها مائة قامة» (١٤)

وبعد الاحتلال العثماني لعدن دخلت المدينة عهد خراب ، وانحطاط واضطراب فقد ارغموا على مغادرتها مرتين : إحداهما على يد علي بن سليمان الطولقي ، صاحب خنفر ١٥٤٧/٩٥٤م ،(١٥) والثانية على يد جيش الامام المطهر في ١٥٦٨/٩٧٦م . (١٦) وقام فيها أكثر من تمرد كاد احدها أن يفقدهم إياها .(١٧) وإندثرت بعض هذه الصهاريج وخرب الباقي ، ويبدو أنها اختفت نهائياً .ولم يبق منها ما يمكن الاشارة اليه في مطلع القرن السابع عشر الميلادي . فعند زيارته الى عدن سنة ١٦٠٩م ، وصف «جون جوردين» المدينة وأستحكاماتها الدفاعية بدقة ، ولم يكن لديه ما يقوله عن مصادر مياهها شيئاً يذكر . «ولا يوجد في هذه المدينة المحطمة أي ماء عذب ، ولكن فيها بعض آبار ؛ ماؤها مالح كالبحر . يشربه عامة الناس ، ولا يبدو أنه ضار بهم»(١٨)

وتصمت المصادر التراثية مرة أخرى عن ذكر الصهاريج حتى مطلع القرن التاسع عشر ، فقد تنازعت على المدينة عدة دول ، واختلفت عليها الايدي ، وأصبح خرابها كاملاً في مطلع ذلك القرن .

وعند وصف لرحلة الصفي احمد إبن الحسن الى عدن سنة ١٦٥٩/١٠٧٠م في محاولة لتحسين أوضاع المدينة ، وإعادة سمعتها الدولية كميناء مهم ، يضع الجرموزي قائمة من الاصلاحات قام بها الصفي تشمل جزءاً كبيراً من المرافق العامة : الاقتصادية ، والدينية ، والدفاعية . «فأول ما عمر من الدواير الداير المتصل بالساحل مما يلي البحر نحواً من نصف ميل ، وعمر دار السعادة الذي هو دار الأمان قليلة النظر في مثلها ، وعمر ستة دور غيرها ، ثم نقض الجامع الكبير ، وأصلحه ، وكذلك بعض المدارس أصلحها» ولكن لم يرد للصهاريج أي ذكر.(١٩)

وفي ١٧٠٩ زار «لاروك» عدن ، وهي تحت حكم الائمة ، ولا زالت الحياة فيها نشطة ، ووصف المدينة وصفاً دقيقاً يشمل أسواقها ، وتلك الحمامات البديعة ذات الاعمدة الرخامية . ولكن لم يلحظ أى صهاريج فيها .

يبدو واضحاً إذاً ، أن الصهاريج قد أهملت تدريجياً منذ آواخر أيام الطاهرين ، وأعتمد الناس على الآبار ، وتلك القناة الذي نسب بناؤها الى عامر إبن عبدالوهاب . وقد بقيت في حالة جيدة الى مطلع القرن الثامن عشر ، رآها «لاروك» حين زار المدينة .(٢٠)

ويبدو جلياً أن الصهاريج كانت موجودة طيلة الفترة المكتوبة لتاريخ اليمن ، وعلى الاخص التسعة قرون التي فصلت بين عهد الهمداني عن القرن التاسع عشر الميلادي ، وشوهدت في قمة الاستفادة منها أيام الرسوليين والطاهرين ، وأوحى إبن المجاور الى وجودها أيام الزريعيين . كما أوحى الهمداني ، والمقدسي الى وجودها في عصرهما ابان حكم اليعفريين ، والزياديين ، والقرامطة للمدينة .

وإذا تأكد نسبة عدن لهذه المدينة التهامية في النقش المذكور آنفاً ، فان تاريخها يعود الى عصور ما قبل الاسلام . ولا يمنع أن يكون وجودها بشكل أو بآخر ، بدائياً كان أو متطوراً قد عاصر البشرية ـ كما سلف ـ منذ استيطانها المدينة ، يسبب إزدهارها تكاثرها حتى تمتلئ بها المدينة ، وتصبح

معلماً من معالمها لا يمكن أن يفوت ملاحظتها السائح والغريب ، وتقل ، أو تختفي عند انحطاط المدينة ، فيغمرها الطمي ، والحجارة حتى ينسي أهل المدينة وجودها.

وبتحليل لاحداث القرن العاشر/السادس عشر ، يمكن استنتاج ما حدث لهذه الصهاريج ، إذ يبدو أن تدهورها ، بدأ من هذا القرن ، وأنقطع استعمالها ، وتوقف ترميمها . وأختفى ما كان منها في المدينة نهائياً ، في مطلع القرن الذي يليه .

١. يفيد إبن الديبع - كما سلف - أن الصهاريج قد تفجرت كلها في رجب سنة ٩١٦ هجرية/أكتوبر سنة ١٥١٠.

٢. ودخل الطاهريون منذ ذلك التاريخ في حروب مستمرة: داخلية مع الائمة والقبائل ، والمنافسين من الأسرة نفسها. وخارجياً مع البرتغاليين ، والمماليك ، والترك حتى سقطت عدن في إيديهم سنة ١٥٣٨ .

٣. ويظهر إنهم لم يتخذوا أى اجراء لترميم هذه الصهاريج واضطر الناس لايجاد بديل لتموين المدينة بالماء ، وعادوا الى نقله من خارجها . وقد ذكر البوكرك في مذكراته أنه رأى الجمال دائبة في تموينها بالماء عندما جاء لاحتلال المدينة بعد ثلاثة سنوات من تفجر صهاريجها .

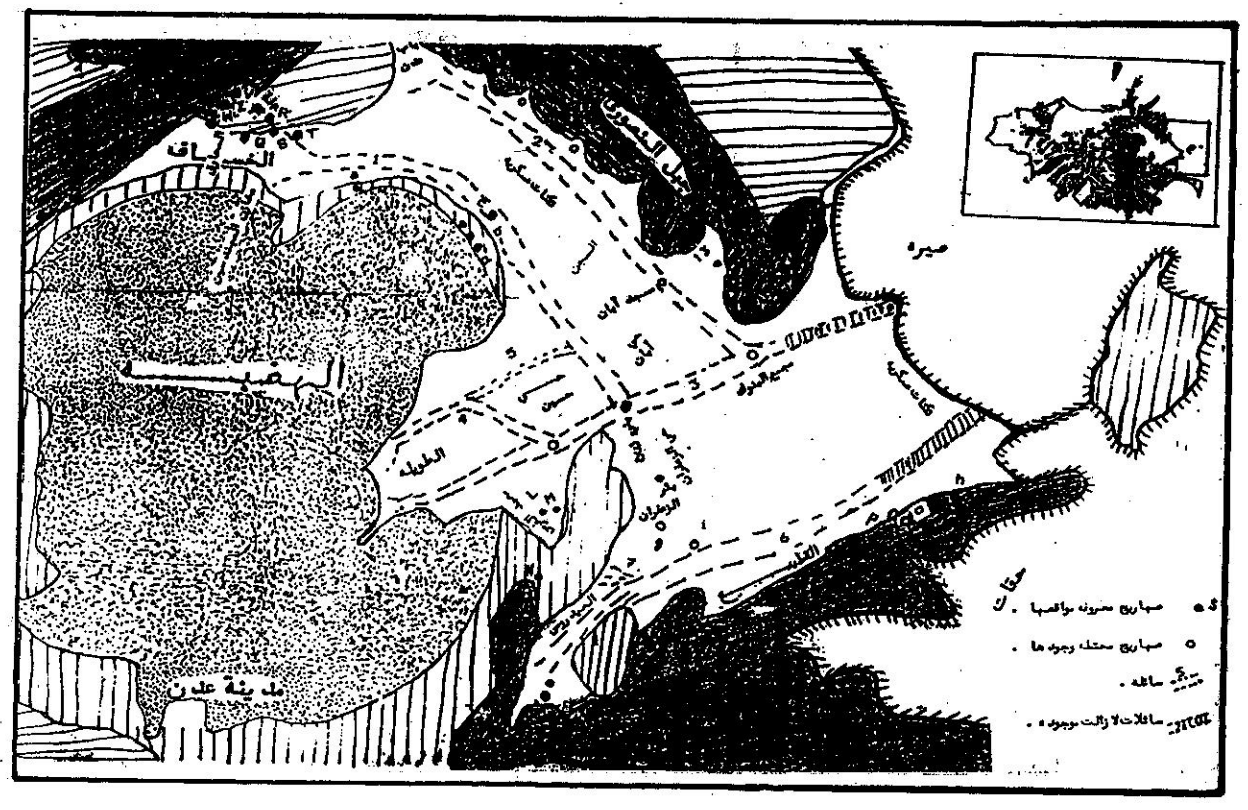
٤. ويفيد إبن الديبع عند ذكره لمآثر الملك الظافر ، عامر إبن عبدالوهاب انه أوصل الماء الى عدن من أماكن بعيدة ، كما انه بنى صهريجاً تحت باب المدينة يصب فيه الماء . وقد رأى هذا الصهريج عدد من الرحلات ، كما سبق .

ومن الجائز إن صهاريج المدينة تركت لتتدهور ، وتختفي . واعتمد الناس تدريجياً على الآبار ، وتضاعف جلب الماء بوسائل اخرى من خارج المدينة .

وتظافر الى جانب تفجر الصهاريج ، وانشغال الطاهريين بانقاذ

ملكهم من البرتغال ، والترك ، والائمة ، واقاربهم ، ومواليهم ، وتداول الأيدي على المدينة ، وثلاثة قرون من الاهمال ، لتدفن أغلبها وتصبح اثراً بعدعين .

وهذه الثلاثة قرون هي الفترة التي انقطع فيها ذكرها ، ولم تعد مرفقاً حيوياً من مرافق المدينة ، أو معلماً من معالمها .



خارطة لمدينة عدن في منتصف القرن التاسع عشر تبين مسالك أهم السائلات ومواقع الصهاريج المكتشفة في المدينة

المسح الطوبوغرافي

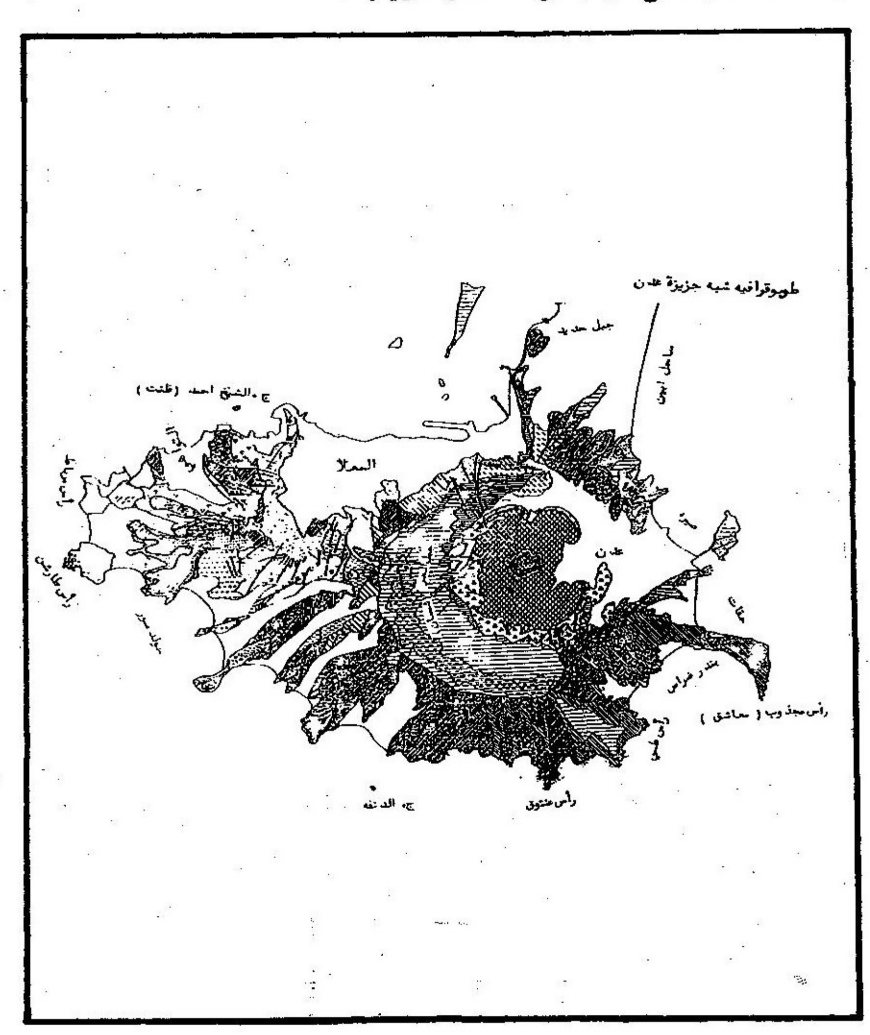
تتكون أغلبية شبه جزيرة عدن من سلسلة جبلية هائلة عرفت قديماً بعر عدن ، و بشمسان منذ القرن التاسع/الخامس عشر .(١) وهو جبل صار علماً في عرض البحر لقدماء الملاحين . وعرفه الهمداني بانه في نهاية جبل السراة ،(٢) سلسلة جبلية تمتد بطريقة أو باخرى من الشام الى عدن . ووصفه بانه جبل يحيط به البحر .

وتحيط به خلجان عدة ، تقع عدن في احداها . وتكون مع جبل العر شكلاً أشبه بالدائرة . وتحتل نصف مساحتها تقريباً هضبة ترتفع (٨٠٠قدماً) ، وملتصقة بمنحدره الشرقي المطل على المدينة . وشكل الهضبة شبه دائري ، هي في الواقع ركام بركاني ملأ فوهة البركان كلها يوماً ما ، أكلت منها الأمطار ، والسيول حتى ذهب معظمها ، لتحل مدينة عدن في مازال منها وسببت فيما تبقى منها اخاديد ، أهمها هذه الثلاثة الأودية : الخساف ، والطويلة ، والعيدروس .وتتكون من مادة أقل صلابة عن صخور جبل شمسان التي تحيط بها . ومن خواصها سرعة تفتتها وعدم احتفاظها بالماء طويلاً .

وهذه الهضبة هي العامل الفريد الذي خصت به المدينة لتصريف مياه الأمطار ، وجعل نظام كالصهاريج ممكناً فيها . فعليها تسقط ، واليها تنساب مياه الأمطار النازلة من جبل شمسان الذي يحتضن هذه الهضبة ،

فتنحدر كل قطرة ماء الى المدينة عدا ما يتسرب الى باطن الجبل عبر شقوقه .

وشقت السيول لنفسها من هذه الأودية عدة سائلات داخل المدينة ، كانت عاملاً هاماً في وجود شبكة واسعة من الصهاريج ، لخزن الماء الجاري فيها ، وتحكمت في القديم في تخطيط المدينة ، وتوزيع احيائها ، وحددت - بشكل أو بآخر - مسار تاريخها .



خارطة لشبه جزيرة عدن

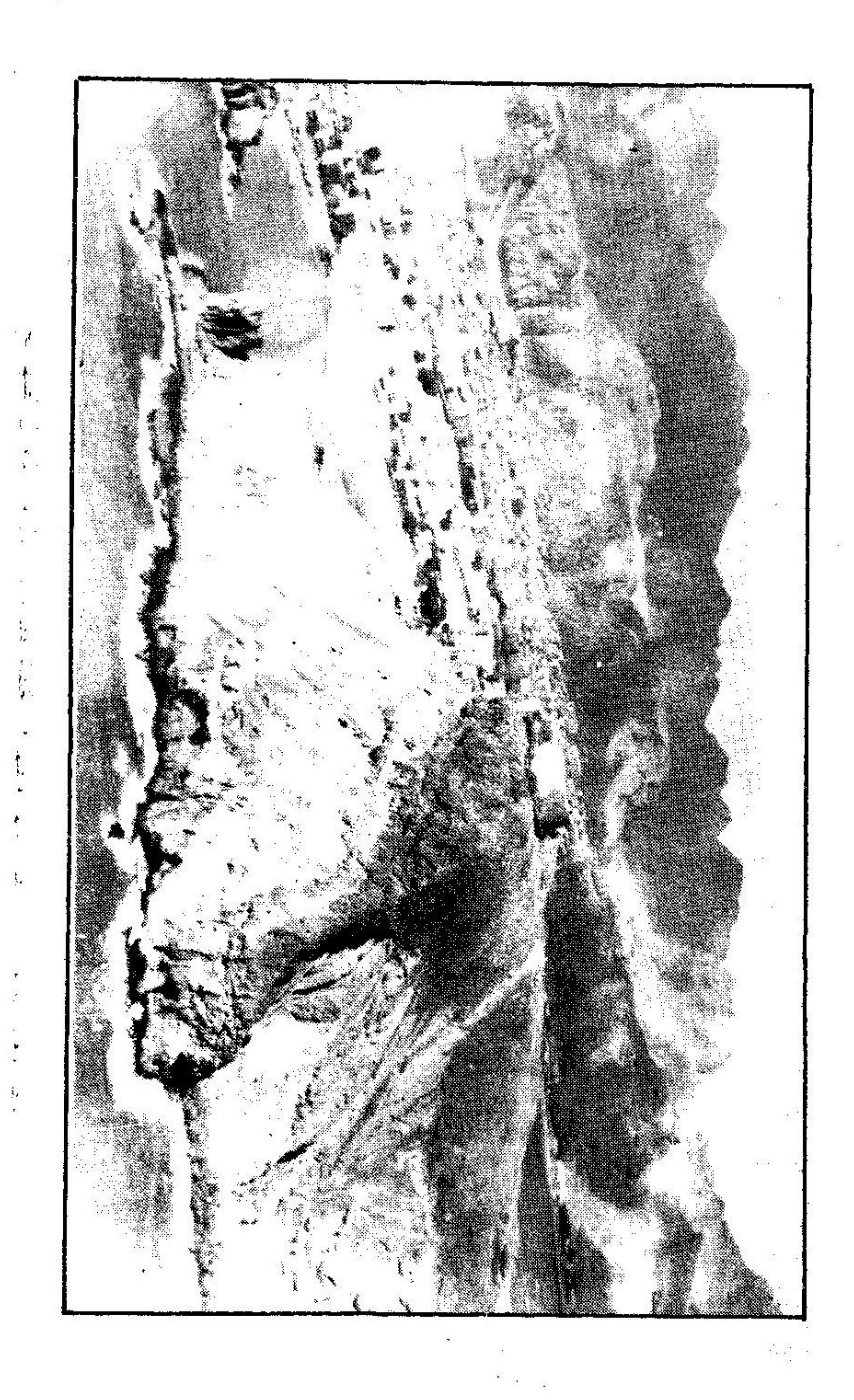
ولمعرفة مواقع الصهاريج المكتشفة في منتصف القرن التاسع عشر ، ووضع معايير للمواقع المحتمل وجودها فيها ، فانه ينبغي تحديد مسار هذه السائلات ، كمؤشر لاحتمال وجود صهاريج في وسطها أو على عدوتها .

وقد اختفت ـ خلال القرن العشرين ـ معظم هذه السائلات عدا بقية منها عند ساحل صيرة ، أو منحدرات بقيت في داخل المدينة تدل على وجودها قديماً . وبالاستعانة بما بقي في ذاكرة بعض المتقدمين بالسن ، وببعض الخرائط التي رسمت للمدينة في منتصف القرن التاسع عشر ، قبل أن يمتد العمران الى سائر اجزائها ، وتخفي معالمها الطوبوغرافية ، أمكن تحديد مسارها على وجه التقريب . ورسمت خريطةلذلك رقمت فيها السائلات تسهيلاً لتمييزها .

وادي الخساف

تنطلق من هذا الوادي سائلتان تتجه إحداهما (رقم ١) من وادي الخساف ، تحت سفح الهضبة ، في إتجاه جنوبي حاد ، وفي مسار مواز للسوق الطويل ، منتهية عند رأس الزعفران . وقد إختفت هذه السائلة الآن نهائيا .

وتتجه السائلة الأخرى (رقم٢) في اتجاه جنوبي شرقي ،مواز لتلال المنصوري ،وشارع الملكة أروى ،مارة بمسجد أبان ،منتهية عند مجمع البنوك . وقد اختفت هذه السائلة عندما وسع شارع الملكة أروى ـ الطريق الرئيسي الى خارج المدينة عبر باب عدن ـ وبقي في غربه جزء منها لا يزيد عن بضعة أمتار .وتوجد صورة لهذه السائلة ، في مطلع القرن العشرين ،وعليها جسر خشبي يربط بين عدوتيها .وفي ١٩٧٨ هطلت امطار غزيرة ،ونزلت سيول عنيفة ،استرجعت مجراها القديم من شارع أروى ،واخربت جزءاً كبيراً منه .



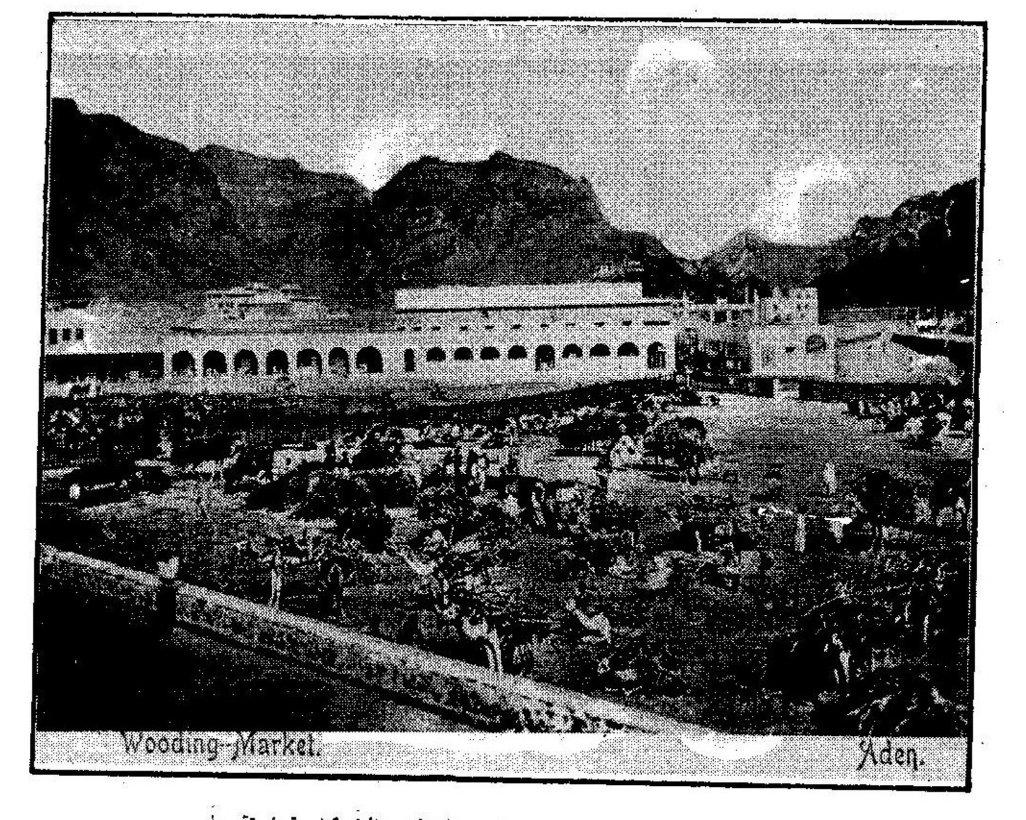
وادي الطويلة :

تنحدر منه أكبر سائلات المدينة (رقم٣) ، متجهة في خط مستقيم تقريباً ، واتجاه شرقي نحو البحر ، لتصب في ساحل صيره ، تحت إدارة الحكم المحلي . وتصب فيها سائلتا (١و٢) ، الأولى عند رأس الزعفران ، والثانية عند مجمع البنوك ، حيث تتسع ، ويجري فيها الماء المتجمع في عنف أشبه بنهر صغير .

وقد كانت هذه السائلة مركز الحركة التجارية في المدينة ، ففيها كان يباع الماء والحطب(٣) والعلف . ولازالت تسمى عدوتها الجنوبية غربي الزعفران (كود الحشيش) . وكان فيها محطة القوافل من الريف ، وفيها إلى اليوم مجمع أسواق المدينة : اللحم ، والسمك ، والخضار ، وينتهي إليها سوق عدن القديم ، الزعفران . ويقع في أولها أكبر صهاريج عدن القديمة (الصهريج الدائري ، بليفير) ،وربما الصهريج الذي نسبه ابن المجاور إلى بني زريع عند الزعفران .

وأختفت هذه السائلة أيضاً ، ولم يبق منها إلا مابين مجمع البنوك والبحر . وقد بني عليها المباني الكبيرة ، هي الآن من أكبر المنشئات العامة : دوائر حكومية ، وبنوك ، ومتحف ، ومكتبة .

وتتجه سائلة أخرى (رقم ٤) تحت سفح الهضبة الغربي للطويلة ، ثم تنعطف في إتجاه جنوبي ، لتصب في سائلة الطويلة (رقم٣) ، في نقطة مابين الطويلة ، والزعفران . وقد كان مابين السائلتين قفرا إلى الحرب العالمية الثانية ، وتحوى الآن بعض المدارس ، وحوش كبير كان مجمعاً للقصارين . وتنفصل منها سائلة صغيرة (رقم ٥) تتجه شرقاً ، لتصب في سائلة (رقم ١) .



ملتقى سائلتي (٢) و (٣) عند مجمع البنوك حالياً .قبل قرن تقريباً

وادي العيدروس :

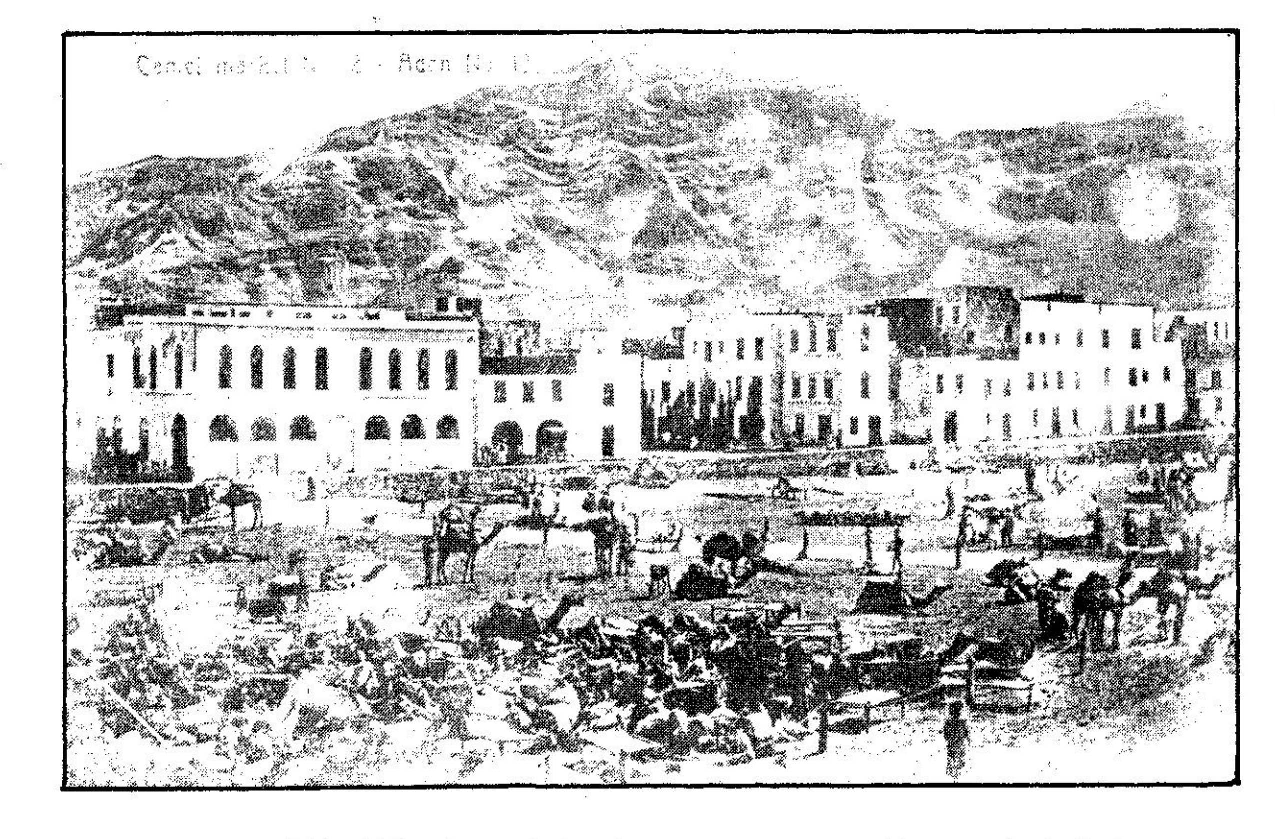
تتجه سائلة منه (رقم ٦) في خط مستقيم تقريباً ، مواز لسائلة الطويلة ، وتصب في البحر بالقرب من جبل صيره ، وكغيرها من السائلات ، قد أختفت ، ولم يبق ظاهراً منها إلا بعض مئات الأقدام ، من طرفها البحري.

وتلتحق بهذه السائلات الرئيسية عدة روافد من التلال المجاورة.

ولا يأخذ التخطيط الحالي للمدينة ، أي اعتبار لهذه السائلات ، لندرة جريان الماء فيها ، لأسباب يأتي ذكرها ، فشيدت عليها مباني ، وطرقات ، وأنفاق تحت البنوك لتحل محل الجسور القديمة لتصريف الماء إلى ماتبقى من السائلة نحو البحر.

وقد كان وضع هذه السائلات عاملاً حاسماً في تحديد احياء المدينة ، وموقع آبارها ، ومساجدها ، وتوزيع صهاريجها.

فيقع أقدم أحياء المدينة في المساحة الواقعة بين سائلتي (٣و٦) من الشمال ، والجنوب ، وساحل صيره من الشرق ، وفيه توجد أقدم مساجدها ، وأسواقها الباقية كمسجد جوهر (القرن السابع/الرابع عشر) ، وسوق الزعفران ، وتكتشف باستمرار في هذه المساحة كثير من المشاهد القبورية القديمة ، وآثار بعض الآبار ، واللقى الأثرية المتنوعة . وكانت أكثر عمراناً بالقرب من ميناء صيره . أكد ذلك بامخرمه بان مساكن أهلها كانت في طرفها مما يلي الساحل ، وقريب منه (٤) . فلا عجب إذاً أن تكون أغلب الصهاريج المذكورة عند بليفير ، وابن المجاور واقعة في السائلات المحيطة بهذا الحي.



منظر للسائلة الممتدة من الطويلة حتى ساحل صيره قبل قرن تقريبا .ويرى في خلفيتها جبل العيدروس .

ولايوجد أمل في معرفة مواقع ماتبقى في هذه الأحياء من آثار ، وصهاريج ، وآبار - خلاف مابقي ظاهراً منها - . فقد دكت معظم هذه المنطقة مباشرة بعد الإحتلال البريطاني(٥) ، واقيمت عليها منشئات عسكرية على طول خليج صيره ، وبنيت هذه الشوارع المستقيمة والمتوازية باتجاه من الشمال إلى الجنوب مابين الزعفران ، وميدان الحبيشي .

ويبدوا أن الحي الثاني المعمور في المدينة ، والذي يفيض إليه العمران عندما تتوسع المدينة ، هو حي أبان . وينحصر مابين السائلتين المنحدرة من الخساف ، وسائلة الطويلة جنوباً ، وينتهي شمالاً عند مسجد أبان . وقد دكت هذه المنطقة أيضاً بعد الاحتلال البريطاني ، واقيمت عليها هذه الأسواق الممتدة في خطوط متوازية من الشرق إلى الغرب : من سوق البزازين إلى سوق الحدادين . وتشير كتب التراث إلى أن مسجد أبان كان - في الغالب - نهاية المدينة .(٦)

أما مابعد مسجد أبان ، فيبدو أنه ظل في الغالب قفرا ، قلما يتردد ذكره كثيراً في كتب التراث . وقد وصفه ولستد في ١٨٣٥ بأنه عبارة عن خرائب ،(٧) ووصفه شاهد عيان في الأسبوعين الاولين للاحتلال البريطاني بأنه مليئ بالأضرحة والقباب والمقابر (٨) .

وبعد الاحتلال بني الانجليز على جزء منه معسكرات القوات المحلية ، وعرف بعد ذلك بالبوليس المسلح ، وحالياً بمعسكر ٢٠ يونيه . وبني سجن المدينة في موقع بينه وبين مسجد ابان . وقد هدم السجن ، وحلت محله الآن وحدة سكنية . وفي شمال المعسكر يبدأ وادي الخساف . وكان يحوي عدداً كبيراً من الآبار ، لازال بعضها باق إلى الآن . وقد كان فيه بيت السلطان العبدلي قبل الاحتلال ، ثم صار بيتاً للكابتن هينز ، وهو الآن ضمن مجمع مباني وزارة العمل والخدمة المدنية .

وتشير بعض الخرائط القديمة إلى وجود محارق على سفح واذي

الخساف الشمالي ، ومخازن لمهندسي الجيش البريطاني في جنوبه . وقد أختفت المحارق ونقلت إلى الساحل قريباً من الحسوه ، بينما حلت منازل سكنية محل المخازن .

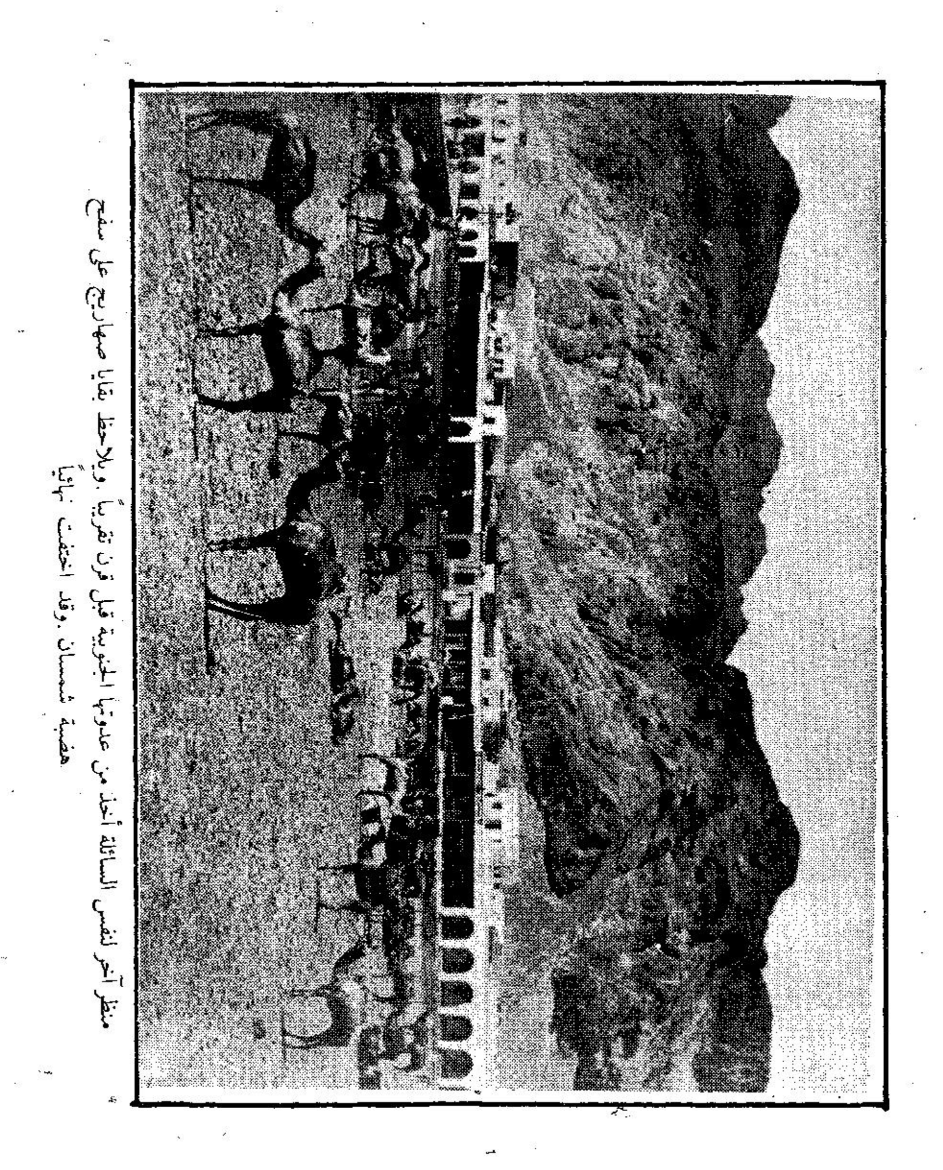
ويقع بين سائلات (١و٣و٥) ، حي حسين نسبة إلى الولي المشهور حسين إبن الصديق الأهدل ، وهو حي كان مليئاً بالاكواخ والعشش ،كما تفيد بعض الخرائط التي رسمت مبكراً بعد الإحتلال ، وقد كان مقراً للصوفية ، تكثر فيه الزوايا والأربطة . وقد سمي قديماً بحي الشاذلية ، ولهم رباط به .

وتوجد مؤشرات كافية من مواقع الآبار ، أن معضمها يقع في هذه الوديان ، وعلى هذه السائلات . فقد بقي عند الاحتلال البريطاني للمدينة مائة وعشرون بئراً ، ربعها في الخساف وحده . وفيه اعذبها ، وأعمقها ، ولازال أكبرها موجود اشارت اليه هذه الخرائط بإسم (بئر الدوله) . ويقع وراء قصر العبدلي المشار إليه آنفاً . ولعله كان ملكاً للسلطان نفسه .

وقد دفنت قريباً بعض الآبار في وادي الطويلة ، وبقيت آثار أربعة منها . أحدهما عند الصهريج الأعلى (أبو سلسلة) ، وآخر يبعد مائة قدم من الصهريج المربع (كوجلان) . وثالث في أسفل كوجلان ، في منتصف الطريق بينه ، ونهاية الوادي ، اسمه بئر (خلاد) ، وآخر اسمه بئر (الزيوتي) في خارج الوادي . وبقيت جملة منها في وادي العيدروس . كانت مصدر ماء للمدينة إلى وقت قريب .

وفي شرق الطويلة يقع ما أطلق عليه (بستان الفرس) ، ويفيد بليفير أن هذا البستان يقع في صهريج ضخم . ويعلو البستان أخدود في الجبل عميق ، يحتوي على نظام للصهاريج شبيه بالطويلة إلا أنه أصغر منه ، تصب أغلبها في صهاريج أخرى داخل البستان ، وبعضها إلى نظام الطويلة وبعضها

يتجه مع بعض روافد إلى سائلة نحو سائلة العيدروس رقم (٦) . ويسمي بعضهم هذا الموقع (معبد الفرس) وهو الآن مقر للمليشيا .



منظر آخر لنفس السائلة أخذ من عدوتها الجنوبية قبل قرن تقريباً . ويلاحظ بقايا صهاريج على سفح هضبة شمسان . وقد اختفت نهائياً

ويمتد من هذا الموقع تل ، أشبه بلسان مستطيل ينتهي عند الزعفران ، بني عليه قديماً المستشفى الأهلي ، قبل أن ينتقل إلى موقعه الحالي في خورمكسر ، وهو الآن مقر لقيادة الشرطة المدنية فيما تبقى من بناياته . ولعل هذا هو الجبل الأحمر الذي قصده أبن المجاور ، فلا يوجد جبل سواه في هذا الموقع . ويفصل هذا التل بين وادي الطويلة ، ووادي العيدروس ، وتشير الخرائط القديمة في موقع عند بداية هذا التل إلى مقبرة لليهود - قبل أن تنقلها سلطات الإحتلال إلى خارج المدينة تحت باب عدن - وتسمي الناس هذا الموقع الآن (بالمهلكه) . ويشير بليفير إلى وجود صهريج فيه .

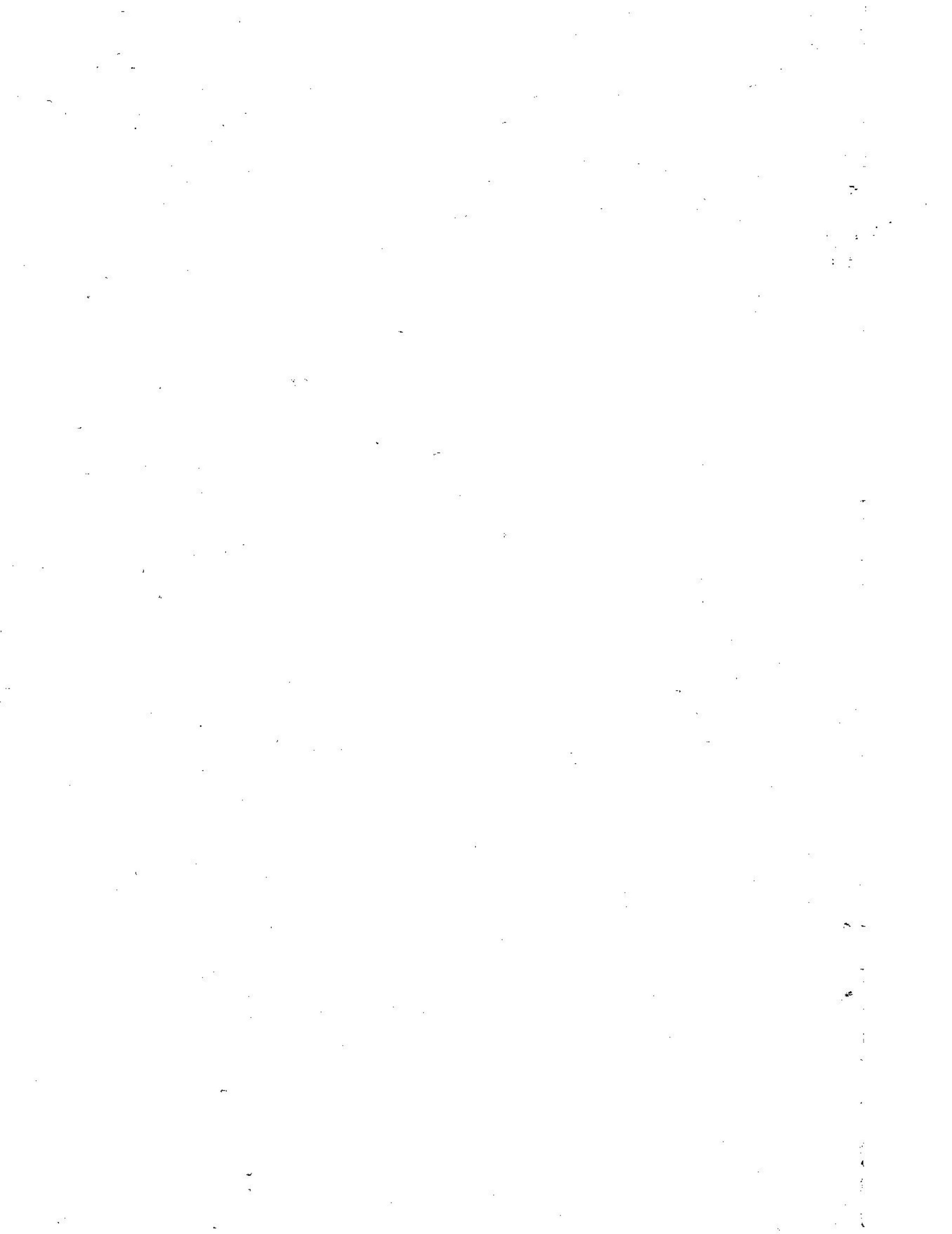
أما ماتبقى من شبه جزيرة عدن ، فمرتفعات وعرة ، ووديان تنحدر إلى الساحل ، ورؤوس تشق طريقها في البحر لتكون عدداً كبيراً من الخلجان . وفيما عدا مدينة عدن ، أقدم المستوطنات في شبه الجزيرة ، ومدينتا التواهي ، والمعلا ، وهما مدينتان محدثتان ، وبندرا ضراس ، وحقات ، فان بقية الخلجان مقفر لاتعرف لها أسماء في كتب التراث ، ولم يسمع أنه قد تم في أي وقت إستيطانها . ولذا لايعرف أي صهاريج شيدت فيها . إلا أن ابن الديبع قد ذكر صهريج عامر بن عبدالوهاب في المباه ،(١٠) وآخر أدرجه بليفير في جدوله(B) انه في حجيف ، وقد كان هذا ميناءاً هاماًقديماً ، ذكره القائد البرتغالي البوكرك في مذكراته في مطلع القرن السادس عشر م . وينحدر الماء إلى بقية هذه الخلجان المقفره ، بعد أن يغيض بعضه في شقوق الجبل وكهوفه .

ويروي أبن المجاور عن بعضهم : «إن وراء جبل العر فضاة ، وعليه جبل دائر ، والبحر مستدير حول الجبل في صدر الوادي ، أي في لحف الجبل ، يخرج منه عين ماء عذب يغلب إلى الوادي ، وقد نبت على نداوة هذه العين شجر الاراك ، والتنضب ، والعشر .»(١٢)

وفي وادي (جولدمور) أحد الوديان الواقعة في جنوب غرب جبل شمسان ، المقفرة قديماً ، لازال توجد أشجار الاراك ، والعشر ، تعيش على

مافي الوادي من مياه ، غاضت في بطن الجبل عندما نزل المطر.

يؤكد ذلك بليفير الذي كتب عن هذه الوديان ، في غرب شبه الجزيرة : «وينتشر بكثافة في هذه الوديان ، أشجار صغيرة ، تنتج أزهاراً جميله ، وقد أعتاد أهالي الشيخ عثمان - قرية تبعد أربعة أميال من الحدود البريطانية (لعدن) أن يرسلوا مواشيهم ، وجمالهم إلى هذه الوديان ، غرب شبه الجزيرة ، لترعى فيها ، حينما ينعدم عندهم المرعى».(١٣)



مسح آثاري

كان أول وصف للصهاريج في بداية القرن التاسع عشر ، هو ما كتبه هنري سولت في ١٨٠٩(١) عندما زارها ، وهي مدفونة نهائياً ، ماعدا ثلاثة منها متصلة ببعض . وصهريج آخر في أعالي الوادي ، مشار إليه ب (رقم١) في خارطة (نورس - بنهي) ويسمى (أبو سلسلة) . ووصفه وصفاً دقيقاً لايمكن أن ينطبق على سواه . أما الثلاثة الأخرى فقد وصفها بأوصاف تختلف عما هو موجود ، فوضع لها أبعاداً يصعب معها تجمعها في حيز ضيق تحت رقم (١) ، وجعل كلاً منها مربع طول ضلعه ٨٠ قدماً ، منحوتة في الصخر . ولا يوجد في ملاحظات ـ من جاؤا بعده ـ صهاريج بهذه الصفه . وقد تشكك بليفير في هذا الوصف بقوله «وقد وصفها بعض الرحالات خطأ بأنها منحوتة في الصخر ، ولكني لا أرى ذلك».(٢)

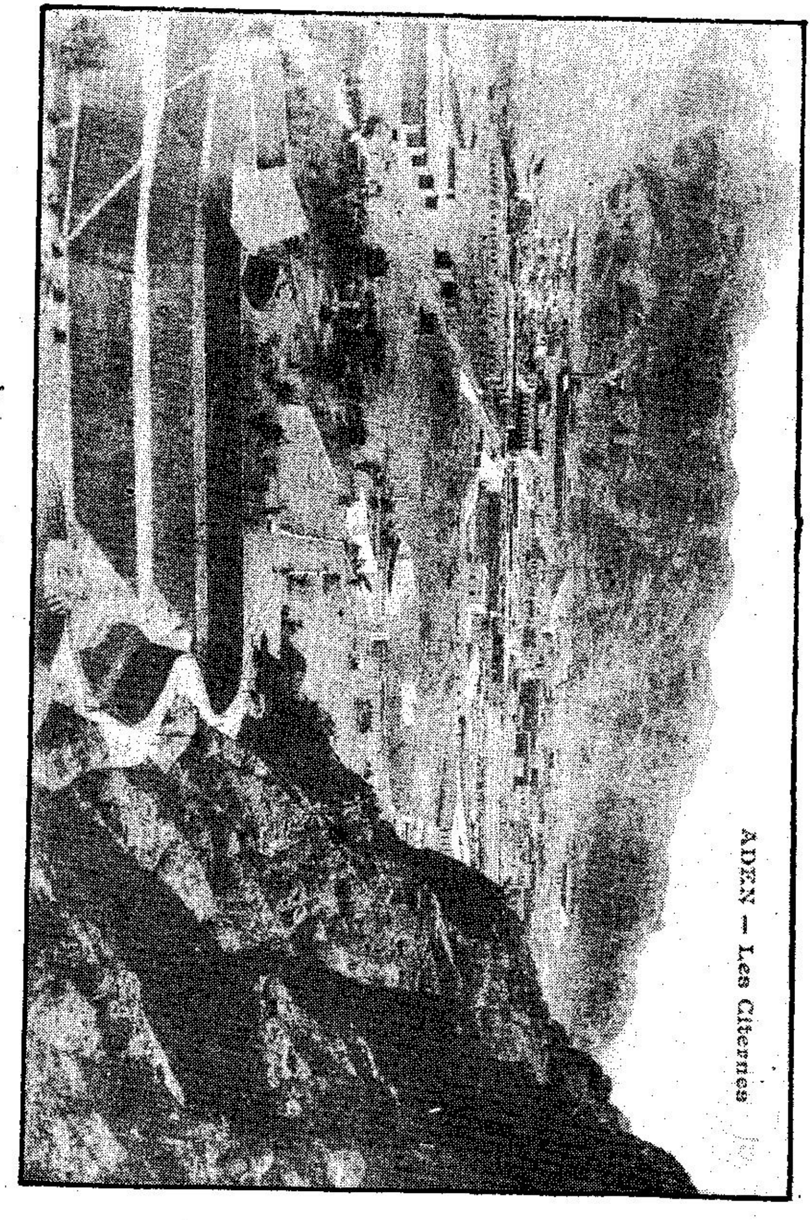
وعندما زار ولستد عدن في ١٨٣٥ ، كتب مايلي : ـ «وأخذني الأهالي إلى بعض الصهاريج التي شيدت بمجهود كبير ، في أسفل بعض الوديان التي تمتلىء في فصل الشتاء بسيول من الجبال المجاورة المتصلة بها . وهي بيضاوية الشكل ، طول أكبرها ٦٨ قدماً ، وعمقه عشرين . شيدت من الحجر ، بدعائم تسند جدرانه الخارجية ، وسلالم في داخله.»(٣)

يتضح من هذا الوصف أن ولستد لم يزر صهاريج الطويلة ، فلا يوجد في أسفل الطويلة صهريج بارز بهذا الوصف . وقد كان صهريج بليفير مدفوناً تحت التراب ، ولم يكتشف بعد ، إضافة إلى أن الأخير حفرة في الأرض ، وليس صهريجاً مستقلاً بارزاً فوقها ، وليس لهُ دعائم تسند جدرانه الخارجية . ويبدو واضحاً أنه شاهد ماعرف بصهاريج (البادري) ، وأكبرها يحمل أغلب الصفات التي كتب عنها . وقد سماه تقرير نورس - بنهي (صهريج القديسة مريم) ، نسبة إلى الكنيسة الإنجلية التي تعلو التل المشرف عليه ، وقد أصبحت في مابعد المجلس التشريعي ، ثم المركز اليمني للأبحاث الثقافية .

وفي تقرير نشره هينز في المجلة الجغرافية الملكية ، عن مسح قام به لساحل اليمن الجنوبي في ١٨٣٥ ، كتب مايلي : - «وتوجد عدة خزانات معلقة - إذا صح هذا التعبير - شيدت بنقر في الصخر ، تلتقط مياه السيول المنحدرة من الجبل ، وفيها تجويف عميق يستقبل المياه الفائضة المنحدرة من علي . وتوجد أيضاً عدة صهاريج ضخمة في المدينة وثلاثمائة بئر» .(٤)

ويبدو جلياً ، أيضاً ، أن هينز لايشير في تقريره هذا إلى صهاريج الطويلة وحدها ، فلم تعد هذه الخزانات خزانات معلقة في ذلك العهد ، اذ أصبحت مدفونة نهائياً عدا ثلاثة ، أو أربعة منها ، شاهدها سولت ، وربما أختفى بعضها قبل زيارة ولستد وهينز في ١٨٣٥ . وما قصده هينز هو أيضاً خزانات أخرى في وادي العيدروس ، والخساف ، كانت ظاهرة معلقة في بطون الوديان ، وقد أدرجها (بليفير) ضمن قائمته للصهاريج الذي مسحها . ولايزال بعضها موجوداً قرب صهاريج الطويلة ، ومعبد الفرس . واندثر وتلاشى ما كان منها في وادي العيدروس ، والخساف ، وفرق هينز بين هذه الخزانات المعلقة ، والصهاريج الأخرى في داخل المدينة ، فكان أكثر من غيره دقة في التمييز بينها .

وقد وصف شاهد عيان حضر إحتلال عدن ، في رحلة قام بها في جبال المنصوري ، أياماً بعد إحتلال عدن : - «ومررنا عند نزولنا بعدة



منظر الطويلة في اتجاه شرقي قبل أن تغرس فيها الأشجار

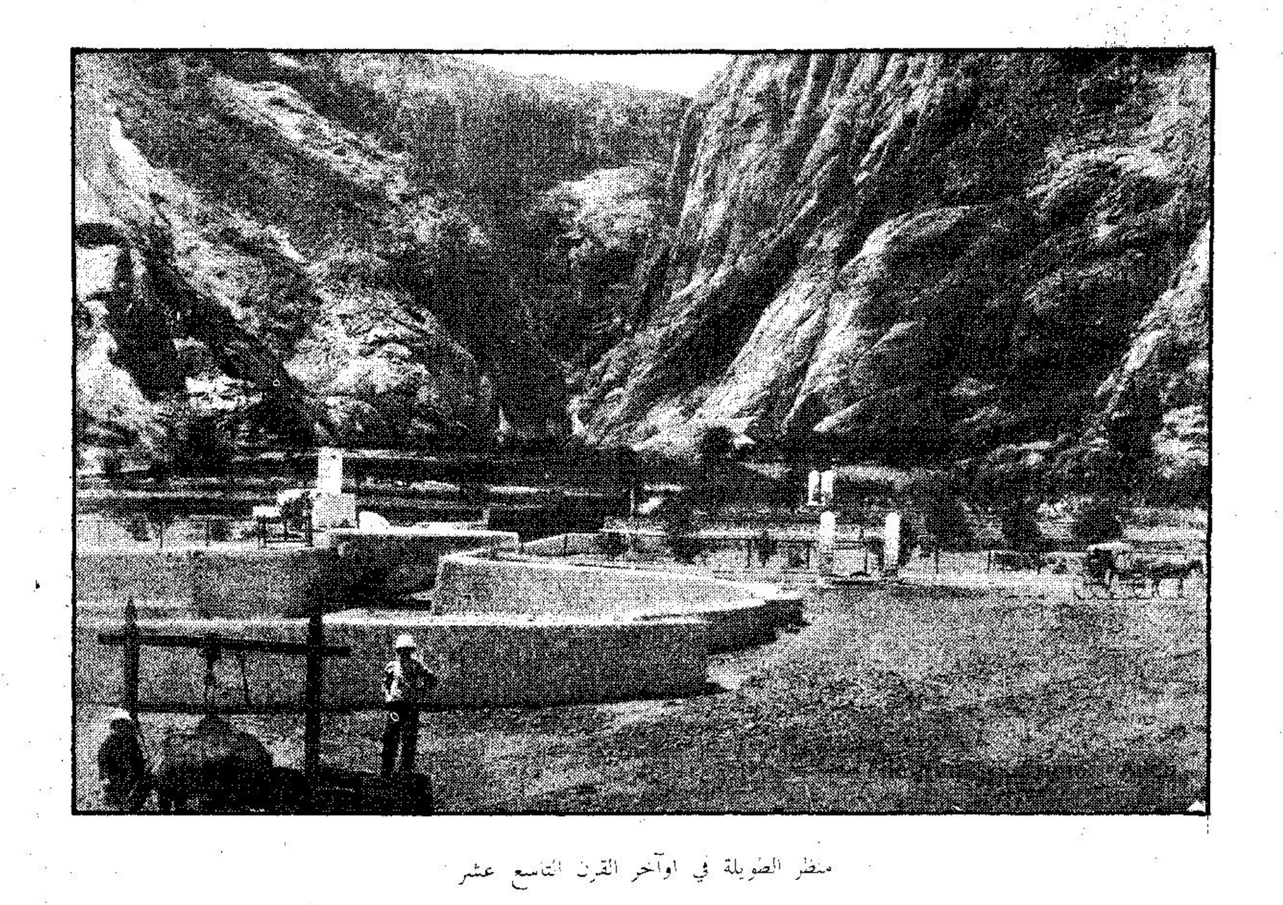
صهاريج ، أغلبها في نهاية الأخدود ، لتتلقف الماء حالة جريانه . وواحد منها بالقرب من القلعة (الخضراء)».(٥)

وآخر وصف للصهاريج ـ قبل أن يبدأ مسحها ـ كتبه ضابط في الجيش البريطاني ، عاصر السنين الأولى من الاحتلال البريطاني في ١٨٤٦م : ـ «تقع الخزانات وحدائق الفرس ، في أقصى المدينة ، ويستحقان الإشارة اليهما . وقد شيد الأول الأتراك عند احتلالهم المدينة في ١٥٣٨م . وكانت مطلية بالجص والرخام وعليها قباب رائعة . ومهما كانت روعتها في القديم ، لم يبق الآن إلا آثارها . ولهذه الخزانات أبعاد مختلفة ، ذات أشكال بيضاوية ، يبلغ طول بعضها ٦٨ قدماً ، وعمقه ٢٠».(٦)

ولايعرف أي خزانات قصدها هذا الوصف ، وأين هذا الرخام ، أو هذه القباب الرائعة ؟ فهو وصف جمع مابين ماكتبه ولستد وهينز ، (خاصة نسبتها إلى الأتراك) ، ووصف لاروك لحمامات المدينة ، وهي تزدان بأنواع الرخام وتعلوها قبة ضخمة . والواقع أنه يوجد صهريج صغير خارجاً من نظام الطويلة تعلوه قبة صغيرة ، يعتقد بأنها بقايا مسجد وضريح .

ولايمكن بهذه الأوصاف المتناقضة الحصول على صورة واضحة عن الصهاريج قبيل وبعد الإحتلال البريطاني ، فهي كما سبق متناقضة ، مضطربة . غير أنه بالإمكان استنتاج مايلي : ـ

١. انه لم يرد أبداً اسم الطويلة في أي من هذه الأوصاف ، وإن كان بعضهم لاشك قصدها ، نظراً لتطابق بعض الأوصاف على ماهو موجود الآن . ولاتذكر المصادر التراثية اسم الطويلة ، وإن أشار بامخرمه إلى قصر اسمه الطويلة يقع قرب الساحل . ولعل شكل هذا الوادي أوحى بتسميته بالطويلة ، كما حدث لسيؤون ، في وادي حضرموت . فقد سميت بالطويلة لفرط توسعها طولاً أكثر من العرض .



منظر الصويلة في اوآخر القرن التاسع عشر

٢. إن صهاريج الطويلة كانت مدفونة نهائياً ، إلا ماظهر من آثار بعضها . ويبدو أن ماكان ظاهراً منها هو الصهريج الضخم في أعلى الوادي (أبو سلسلة) ، والمرمز به في الخرائط برقم (١) ، والذي وصفه سولت . يؤكد ذلك أنه لازالت على جداره الخارجي بعض المخربشات التي كتبها بعض البحارة ، والسياح - قبل الإحتلال - فيها اسماؤهم ، وتاريخ وصولهم إلى الموقع . وبعض هذه التواريخ تمتد إلى سنة ١٨٣٣م .

٣. انه كانت لاتزال في المدينة عديد من الصهاريج متفرقة في أنحاء مختلفة منها ، إضافة إلى ماهو موجود في بطون الجبال ، بعضها ظاهر ، والآخر مدفون .

ويمكن حصر ماعرف منها بماهو متوفر من تقارير ، واشارات متفرقة من كتب التراث ، أو المسح والتنقيب الذي قام به الكابتن بليفير - مساعد السياسي المقيم - في منتصف القرن التاسع عشر ، وقد وضع جدولين أحدهما (A) يحوي ثلاثة عشر صهريجاً تم اكتشافها ، وترميمها ، واستخدامها ، وأكثرها باق إلى اليوم . وجدول (B) ويحوي حوالي ٣٧ صهريجاً ، اكتشفت ، ورمم واحد منها فقط . وأختفت جميعها ، ولم يبق إلا آثار بعضها .

وادي الخساف

تضم قائمة (B) عشرة صهاريج في وادي الخساف ، بعضها بجانب المحارق ، وبعضها معلق في مرتفعات مختلفة من الجبل . وواحد منها على التل المطل على موقع عرفه التقرير (بمخازن المهندسين) في العدوة الجنوبية من الوادي . ولا يوجد اثر لأي من هذه الصهاريج في الخساف سوى الأخير . ولا يبعد أن يكون نظام الخساف شبيه بنظام الطويلة .

وتقع خمسة أخرى في منطقة الخساف ، خارج الوادي عند مايعرف الآن بمعسكر ٢٠ يونيه (ثكنات القوات المحلية في القائمة) (B)، أربعة منها معلقة ، وواحد في المعسكر نفسه . ولم يعد لها وجود الآن .

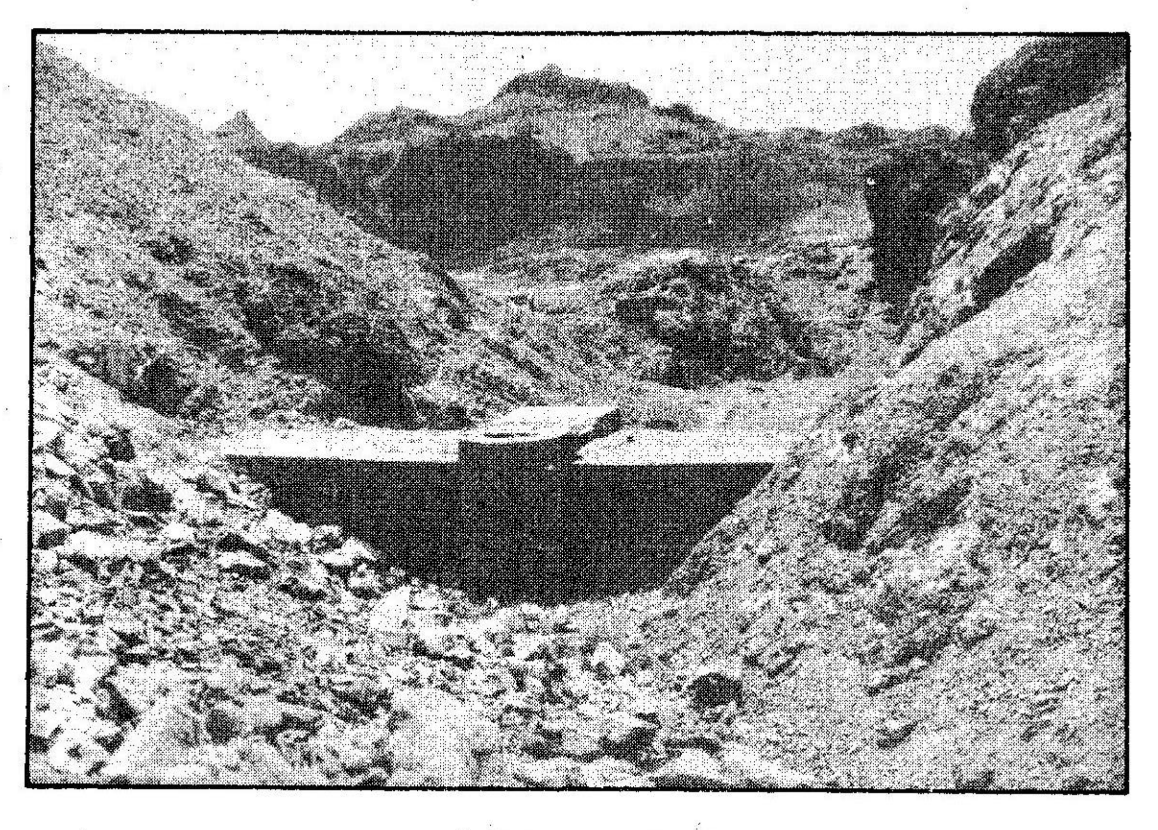
بحيرة الخساف

ولعله من المناسب ذكر مشروع - لا علاقة له بالصهاريج - لبناء سد فوق وادي الخساف في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، اطلق عليه مشروع بحيرة الخساف ، كحل لمشكلة الماء في المدينة .

فقد نوقش في ١٨٦٣م ،(٧) مشروع بناء سد فوق وادي الخساف يعترض المياه المنحدرة من الجبال المحيطة به ، وخلق بحيرة هي عبارة عن صهريج هائل لخزن الماء ، وبيعه بسعر زهيد ، بعد أن فشلت صهاريج الطويلة بعد ترميمها ، وفشلت مشاريع أخرى للحصول على الماء .

وقد أقنع المقيم السياسي حكومة الهند بجدوى هذا المشروع ، وأنه إضافة إلى حصر الماء ، الذي يسبب نزوله أضراراً في المدينة ، فان تجمعه سيساعد على إنعاش الآبار في الوادي ، وتوفير الماء بسعر رخيص ، ونقله عبر قناة تمر تحت نفق في جبال المنصوري ، إلى خزانات في جبل حديد لتموين معسكرات البرزخ .

وفي ١٨٧٧، بني السد ، وعندما أمتلأت البحيرة ، أنفجرت - بعد بضع ساعات - أحد الأنابيب ، وضاع جزء من الماء ، وتسرب ماتبقى منه كله الى باطن الأرض في أربع وعشرين ساعة ، وفشل المشروع . وكان ذلك بسبب سوء فهم لطبيعة الأرض . فلم يأخذ المهندسون حساباً للشقوق في الهضبة وطبيعة صخورها . وبقي السد إلى اليوم .



السد المتبقي من بحيرة الخساف

وادي العيدروس

يضم جدول (B) صهريجين في وادي العيدروس . وقد وصفهما تقرير سابق(٨) - قدمه أحد مساعدي المهندس التنفيذي في ١٨٤٧ - بأنه يوجد في وادي العيدروس ، صهريج ضخم قطره ٤٠٦ قدماً ، وعمقه ١٠ أقدام يتسع لنصف مليون جالون من الماء . وآخر قطره ٣٢ قدماً وعمقه ٢٠ ، ويتسع لتسعة وتسعين الف جالون ، وأختفت كل هذه الصهاريج .

ويحوي جدول بليفير صهريجاً كان موجوداً في عهده خلف مركز البوليس رمز إليه بحرف (i). وقد عرفت ثلاثة مواقع لمركزالشرطة في عدن منذ الإحتلال البريطاني لها . آخرها موقعه الحالي : ماتبقى من بناية المستشفى الأهلي فوق قمة تل يطل على الطويلة . أما موقعه السابق والمعروف خلال القرن العشرين فهو على سائلة الطويلة بالقرب من الزعفران .

وقد وضع تقرير (نورس - بنهي) هذا الصهريج في هذا الموقع على أنه نفس الصهريج الذي نسبه إبن المجاور إلى بني زريع . والواقع غير ذلك . فهناك موقع ثالث لمركز الشرطة سبق هذين الموقعين . فقد كان موقعه أيام كتابة بليفير تقريره في سائلة العيدروس ، بالقرب من مدرسة شمسان وهو موقع أشارت إليه الخرائط التي رسمت في ١٨٥٦ . وما عناه بليفير من وجود صهريج خلف مركز الشرطة هو في الواقع المركز الذي كان موجوداً في عهده ، على سائلة العيدروس .

ولا يوجد أي تشابه بين هذين الصهريجين . فصهريج رقم (i)صغير جداً ، لايمكن أن يكون أكثر من بركة ، اذ لايتسع إلا لعشرة آلاف جالون . بينما يصف ابن المجاور صهريج بني زريع بأن السيل يتقلب فيه يومين .

يشير تقرير نورس ـ بنهي إلى وجود ثلاثة صهاريج بقي منها صهريج ضخم ضمه جدول (A) على سفح جبال المنصوري بالقرب من بناية الكنيسة الانجيلية ، التي صارت مجلساً تشريعياً ، ثم مركزاً للابحاث الثقافية . وقد كان يسمى بصهريج البادري . إلا أن شاهد عيان رأى عدداً كبيراً منها كما ذكر آنفاً ، يبدو أنها أختفت نهائياً .

ووجود صهاريج في هذا الجبل ، أمر ضروري ، ومنطقي ، فهذا هو الجبل الأخضر الذي يقع عليه حصن الخضراء ، أشهر حصون المدينة وأضخمها ، في القرن السادس/الثاني عشرم . قد كان معقل بني زريع ، ومخزن دخائرهم وكنوزهم ، وقامت حوله حرب أدت إلى فقدان ابي الغارات ابن زريع له في حرب التصفية بين أحفاد زريع ، وانهاء القسمة التي أقامها المكرم الصليحي لمدينة عدن بينهم . ويهيمن هذا الجبل على المدينة ، والميناء . وخليق بموقع استراتيجي كهذا ، معرض لحصار طويل ، أن يهتم أهل المدينة بخزن الماء في كل مكان فيه .

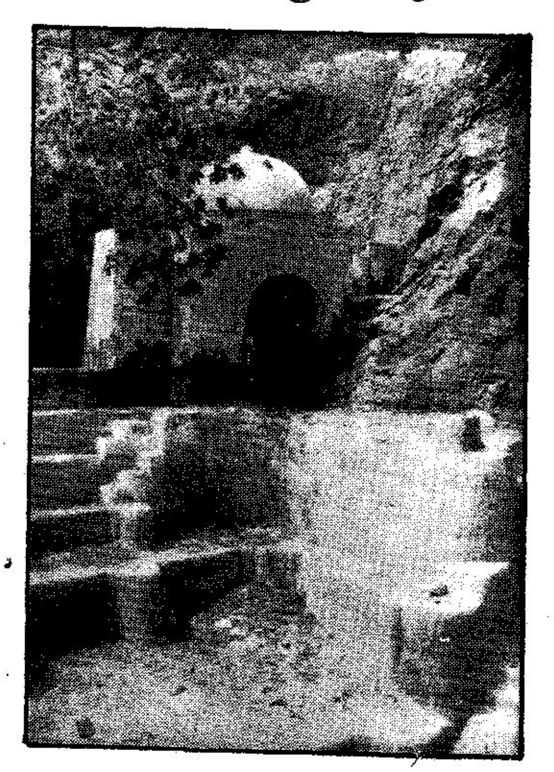
وتفيد تقارير أخرى عن وجود صهاريج في جبل صيرة ، وهو كالجبل الأخضر ، يهيمن على الميناء ، تقع عليه إحدى القلاع المهمة ، ويتمتع بموقع استراتيجي فريد . إلا أنه موقع يمكن أن يحصر ، ويقطع التموين من المدينة .

وهناك عدة مواقع أخرى شملتها قائمة بليفير ، كبستان الفرس ، وثكنات (سبندي) قيل أنها كانت في القطيع .

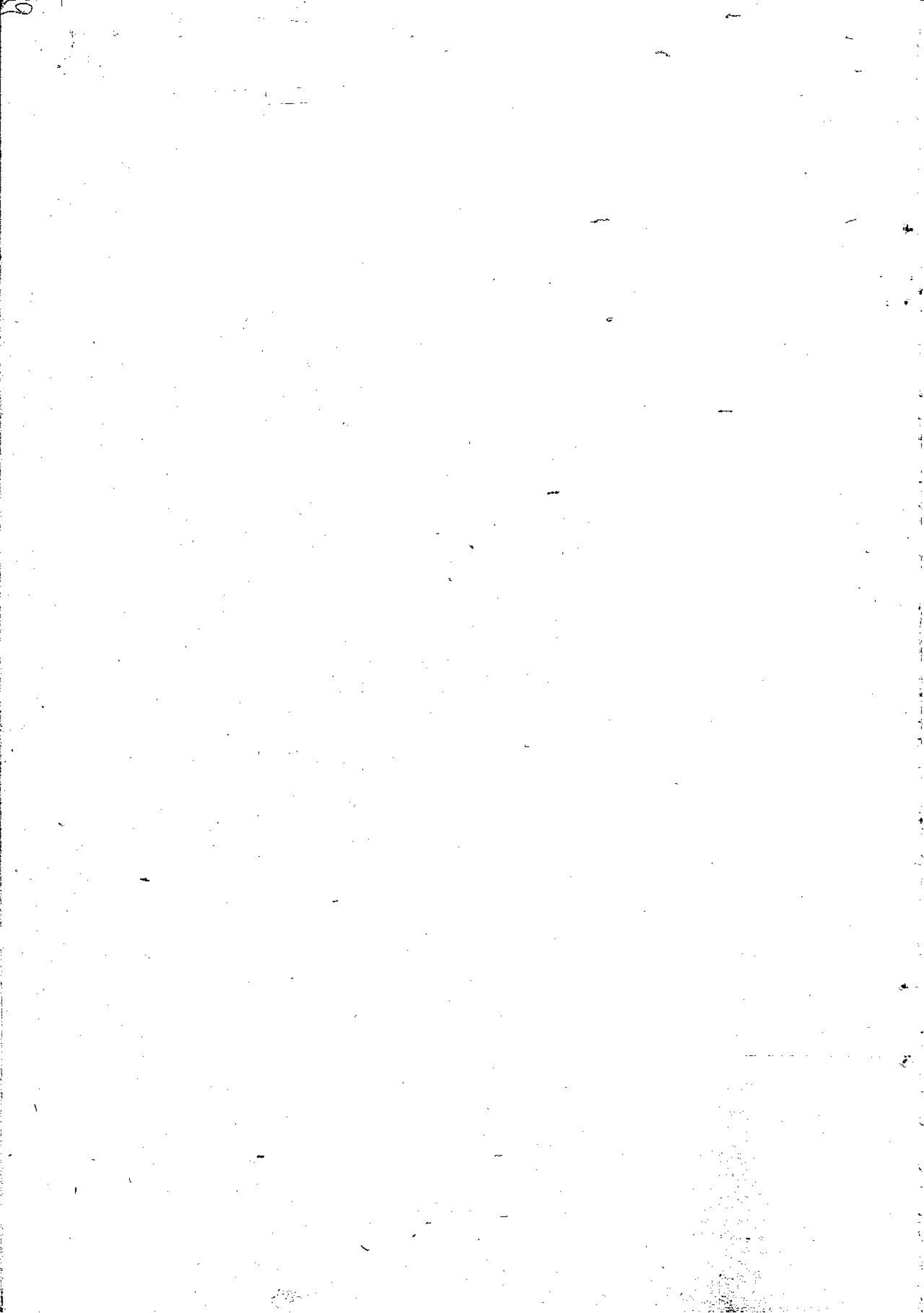
صهاريج المدينة

ولم يبق شيء من صهاريج المدينة ، ولا يعرف مواقعها سوى ما ورد في كتاب إبن المجاور ، وجداول بليفير . وهي صهاريج إعتمد سكان المدينة عليها . ومن المحتمل إكتشاف كثير منها عند شق طرقات جديدة ، أو ترميم مجاري المدينة . وقد وضع الفصل الخاص بالمسح الطوبوغرافي في مؤشرات للمواقع المحتمل وجودها فيها .

وبعد هذا العرض الشامل لمواقع الصهاريج في الأودية والمدينة ، سينحصر البحث الآن على الصهاريج الباقية والمشهورة في وادي الطويلة .



صهريج إبي قبه



صهاريج الطويلة

هو النظام الوحيد الباقي من الصهاريج . واختفت بقية الأنظمة في الوديان الأخرى . وستعتمد هذه الدراسة على الأصول المكتوبة : في دراسة (بليفير) والمراسلات التي تبودلت بين المسؤولين ، والخبراء ، والمهندسين ، وحكومة الهند في الوصول الى تصور أدق في حقيقة شكل الصهاريج قبل أن أعيد إستعمالها .

لقد كانت الطويلة ـ على ما يبدوا ـ مدفونة تماما ، وما كان ظاهرا منها انحصر ـ حسب ما رآه الرحالات ، والسياح الذين سجلوا ملاحظاتهم ـ على صهريج (أبو سلسلة) ، وصهريج (أبو قبة) ، والصهاريج الثلاثة التي ربما قصدها سولت في غرب الوادي ، ويمكن إلحاق الصهاريج المعلقة فوق بستان الفرس ، فهي وإن لم تكن في الطويلة ، إلا إنها تقع في أخدود عند إنتهاء وادي الطويلة مباشرة ، ويرتبط نظامها بنظامه .

وبعد المسح ، والتنقيب ، (بل وبعد الترميم ، وما رافقه من تعديل) نشر (بليفير) دراسة عن الصهاريج حوّت جدولين . (A) لكافة الصهاريج التي رممت واعيد تنظيمها . عشرة منها داخل الوادي ، وثلاثة خارجه . وجدول (B) لبقية الصهاريج (وهي حوالي سبعة وثلاثين) اكتشفت في مختلف انحاء المدينة ، سواء المعلقة منها في بطون الجبال ، أو داخل المدينة . وباستثناء اثنين ، أو ثلاثة اعيد ترميمها ، فقد توقف ترميم الباقي ، واندثرت

كلها ،واختفت من الوجود .وكان أهم ما رمم ،واعيد استعماله ،هو ذلك الصهريج آلضخم خارج سور الطويلة ،الذي سمي باسمه ، ويفيض ماؤه الي السائلة في اتجاه المدينة ،وسعته أربعة ملايين جالون ،ورمز اليه ب (I) في جدوله (A) .

ومن الصعب الإعتماد كليا على جدول(A) فإنه يبدو إنه أعد في دور تخطيط ، واكب التنفيذ . فقد أضيفت صهاريج ، وإختفت عدد مما توقف ترميمه في الطويلة في جدول (B). وبالمقارنة بينها ، وخارطة (نورس - بنهي) التي تضع الصهاريج في مواقعها الحالية ، يمكن استنتاج شكل هذا النظام قديما . ووضع خارطة تصورية لحالها من قبل .

ويتضح من هذه المقارنة ما يلي :-

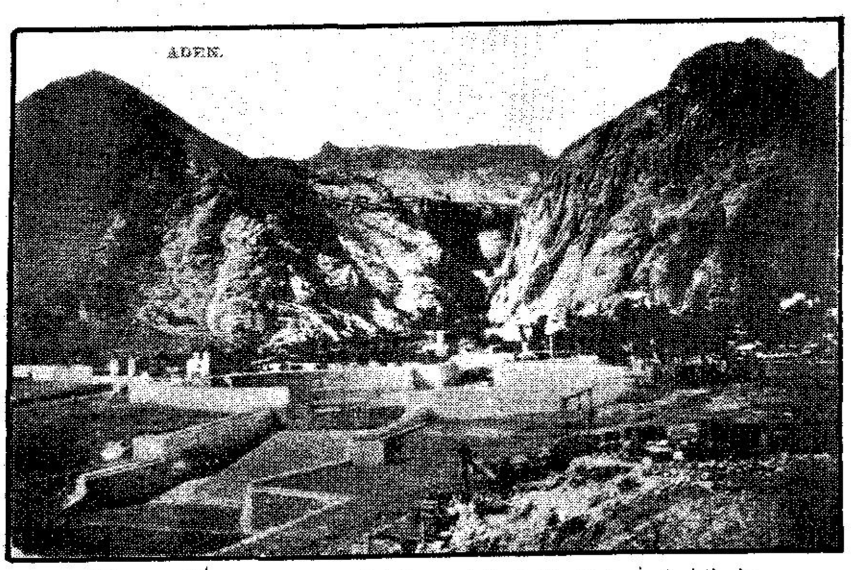
١. ان صهريج كوجلان (الصهريج الضخم الواقع في وسط الوادي) لم يكن موجودا ، وليس له أية قيمة أثرية ، فلا يظهر في جدول بليفير ، وبني على ما يبدو بين سنتي ١٨٥٨ و ١٨٦٠م [١] لتصب فيه كافة الصهاريج من (١ الى ٦ في خارطة نورس - بنهي) من جانبي الوادي .

٢. ولم تكن القناة الممتدة بينه ، وبين صهريج بليفير موجودة ، فلاداعي لها بدون هذا الصهريج .

يؤكد هاتين النقطتين ما كتبه الكابتن (فولر) الى بومباي يقول :- «وبعد الإنتهاء من صهريج كوجلان المتوقع في نوفمبر ، يجب إنشاء قناة بينه وصهريج بليفير» .[٢]

٣. ولا توجد قناة بين صهريج كوجلان ، والصهاريج العليا الذي يصب فيها (أبو سلسلة) ، فلا داعي لها أيضا مادامت الآن تصب في كوجلان: صهريج لم يكن موجودا من قبل . فلا يشير اليها بليفير في جدوله .

ويؤكد استحداث هذه القناة رسالة كتبها الكابتن (فولر) الى بومباي في ١٧ أكتوبر ١٨٥٩ يصف ما قام به من تعديل وترميم .فقد ذكر انه عمق صهريج ابي سلسلة باضافة جدار على جداره الحالي ، وان قناة شيدت تصل بينه ،وصهاريج (٢، ٣، ٤، ٥ في نورس - بنهي) ، وصهريج (كوجلان) .(٣)



منظر للطويلة في اوائل القرن العشرين .اخذت من صهريج (الفارسي) بليفير

٤. يستنتج من قائمتي بليفير ان ثمانية عشر صهريجا (١ الى ١٠) ، ومن (A الى K) تصب في (I) صهريج بليفير ، بدلا من صهريج كوجلان والقناتين منه واليه اما الان فقد اختفت جميع الصهاريج (A الى K).

٥. ولا يصل الآن الى بليفير الا مايفيض من كوجلان وما ينحدر من صهريج معلق فوق بستان الفرس .

٦. كما يلاحظ ان صهريجا اعطى رقم(٢/١ ٨).وهو رقم شاذ يعطى لصهريج ، ودليل على الاضطراب الذى وقع فيه القائمون باعمال الترميم.

فلعله صهريج اكتشف بعد ان اعطيت بقيتها ارقاما ، وصار اعطائه رقما كاملا ، يلغى الارقام المسلسلة للصهاريج ، او انه صهريج استحدث بين انقاض صهريجين ليكون صلة بين رقمى(٨) و (٤)فى غرب الوادى ، وقناة منه عبر الوادى الى صهريج (٧) وهو (٦) فى خارطة نورس - بنهى .

٧. تفيد قائمة بليفير انه توجد سلسلة من الصهاريج فى شرق الوادى بعد رقم (٧) متجهة الى معبد الفرس .وقد رمز اليها ب (C,D,E,G) . وقد اختفت جميعها ، ويمكن اليوم ملاحظة آثار تفجير مواقعها . ولعلها نفسالقناة التى ذكرها كوجلان فى تقريره الى بومباى ، والتى تتخللها سلسلة خزانات متجهة نحو المدينة

٨. يتضح من قائمة بليفير بان المياه كانت تصب فى صهريج (بليفير)من ناحيتين :

الاولى : من جهة الشرق . صهريج (H) يسبق صهريج بليفير ويتلقى الحجارة ، والطمى قبل ان ينزل الصهريج . وقد نظف ولكن لم يرمم ، واختفى الان نهائيا . ويوحى ذلك بان هذا الصهريج يقع فى نقطة ما على جبل حيث يسقط اليه الماء مباشرة منه قبل ان يصل خاليا من الطمى ، والحجارةالى صهريج بليفير.

الثاني : صهريج(J) قريب من بليفير ويصبفيه ، وصهريج آخر (K)ليلتقى الحجارة ومنع سقوطها في (J) .ويقوم (K) بنفس مهمة (H) في شرق الوادي .ولذا فانه من المنطقي أن يكون موقع (J و K) على العدوة الغربية للوادي .ولا وجود لها الآن ايضاً.

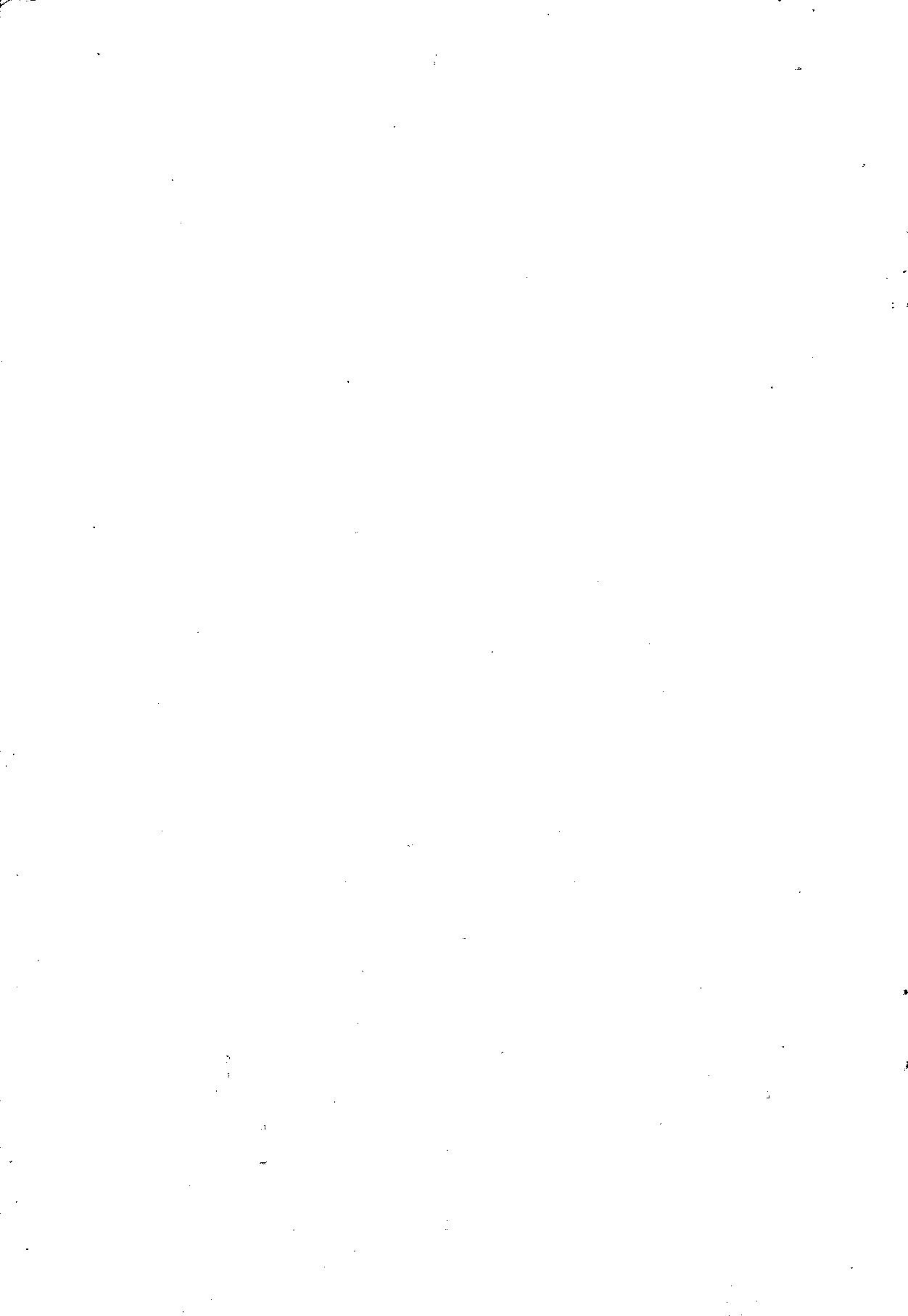
وقد وضعت خارطة لهذا التصور بمايمكن ان تكون عليه حال الصهاريج قبل ترميمها ، اعتماد على جداول بليفير ، وتقارير المهندسين. وهذا تصور اقرب ان يتخذ كنقطة يدرس من خلالها ماضى الصهاريج .

اما النظام الحالى فينزل الماء من الجبل مباشرة الى صهاريج (١، ٢، ٣، ٤، ٥) من شرق الوادى وتصب كلها فى قناة موزيه لها الى صهريج كوجلان . وينزل الماء الى صهريج (٦) وهو (٥، ٦، ٧ فى قائمة بليفير) فى شرق الوادى ، ويصب ايضا فى كوجلان رقم (٧) . ومنه الى (٨) ثم عبر قناة الى رقم (١٦) والى بليفير (١٧) . اما الصهاريج الباقية مستقلة منقطعة عن بعضها .

وقد اتخذ نظام الطويلة ، حسب خارطة نورس - بنهى (وهو النظام الحالى) شكلا لا علاقة له بما وصفه بليفير ، او بما قصده بناته الاصليون . فقد قضي الترميم والتعديل على اغلب ملامحه ، اضافة الى ماسببه الاهمال ، وتقادم الزمن .

وفى الجانب الغربى من الطويلة يقع صهريج (ابو قبة) : هو فى الواقع صهريجان يرتفع احداهما بضعة اقدام عن الاخر ، تفصل بينهما سلالم حجرية، تعلوها قبة . ومن الواضح ان هذه القبة كانت اضافة الى الصهاريج بنيت فى احدى العصور الاسلامية ، وربما كان بجوارها مسجد تهدم واندثر. ويحتوى الصهريج العلوى على مدرجات فى مستويات مناسبة تسمح بالهبوط تدريجا مع انخفاض مستوى الماء فى الصهريج .

ويفيد بليفير بانه وجد عندما رمم هذا الصهريج ضريحا لاحد الصلحاء، ونقش نزع من الضريح قبل ان يتمكن احد من دراسته ومعرفة تاريخ صاحبه.



وادي العيدروس

يضم جدول (B) صهريجين في وادي العيدروس . وقد وصفهما تقرير سابق(٨) - قدمه أحد مساعدي المهندس التنفيذي في ١٨٤٧ - بأنه يوجد في وادي العيدروس ، صهريج ضخم قطره ٤٠٦ قدماً ، وعمقه ١٠ أقدام يتسع لنصف مليون جالون من الماء . وآخر قطره ٣٢ قدماً وعمقه ٢٠ ، ويتسع لتسعة وتسعين الف جالون ، وأختفت كل هذه الصهاريج .

ويحوي جدول بليفير صهريجاً كان موجوداً في عهده خلف مركز البوليس رمز إليه بحرف (i). وقد عرفت ثلاثة مواقع لمركزالشرطة في عدن منذ الإحتلال البريطاني لها . آخرها موقعه الحالي : ماتبقى من بناية المستشفى الأهلي فوق قمة تل يطل على الطويلة . أما موقعه السابق والمعروف خلال القرن العشرين فهو على سائلة الطويلة بالقرب من الزعفران .

وقد وضع تقرير (نورس - بنهي) هذا الصهريج في هذا الموقع على أنه نفس الصهريج الذي نسبه إبن المجاور إلى بني زريع . والواقع غير ذلك . فهناك موقع ثالث لمركز الشرطة سبق هذين الموقعين . فقد كان موقعه أيام كتابة بليفير تقريره في سائلة العيدروس ، بالقرب من مدرسة شمسان وهو موقع أشارت إليه الخرائط التي رسمت في ١٨٥٦ . وما عناه بليفير من وجود صهريج خلف مركز الشرطة هو في الواقع المركز الذي كان موجوداً في عهده ، على سائلة العيدروس .

ولا يوجد أي تشابه بين هذين الصهريجين . فصهريج رقم (i)صغير جداً ، لايمكن أن يكون أكثر من بركة ، اذ لايتسع إلا لعشرة آلاف جالون . بينما يصف ابن المجاور صهريج بني زريع بأن السيل يتقلب فيه يومين .

سلسلة جبال المنصوري

يشير تقرير نورس - بنهي إلى وجود ثلاثة صهاريج بقي منها صهريج ضخم ضمه جدول (A) على سفح جبال المنصوري بالقرب من بناية الكنيسة الانجيلية ، التي صارت مجلساً تشريعياً ، ثم مركزاً للابحاث الثقافية . وقد كان يسمى بصهريج البادري . إلا أن شاهد عيان رأى عدداً كبيراً منها كما ذكر آنفاً ، يبدو أنها أختفت نهائياً .

ووجود صهاريج في هذا الجبل ، أمر ضروري ، ومنطقي ، فهذا هو الجبل الأخضر الذي يقع عليه حصن الخضراء ، أشهر حصون المدينة وأضخمها ، في القرن السادس/الثاني عشرم . قد كان معقل بني زريع ، ومخزن دخائرهم وكنوزهم ، وقامت حوله حرب أدت إلى فقدان ابي الغارات ابن زريع له في حرب التصفية بين أحفاد زريع ، وانهاء القسمة التي أقامها المكرم الصليحي لمدينة عدن بينهم . ويهيمن هذا الجبل على المدينة ، والميناء . وخليق بموقع استراتيجي كهذا ، معرض لحصار طويل ، أن يهتم أهل المدينة بخزن الماء في كل مكان فيه .

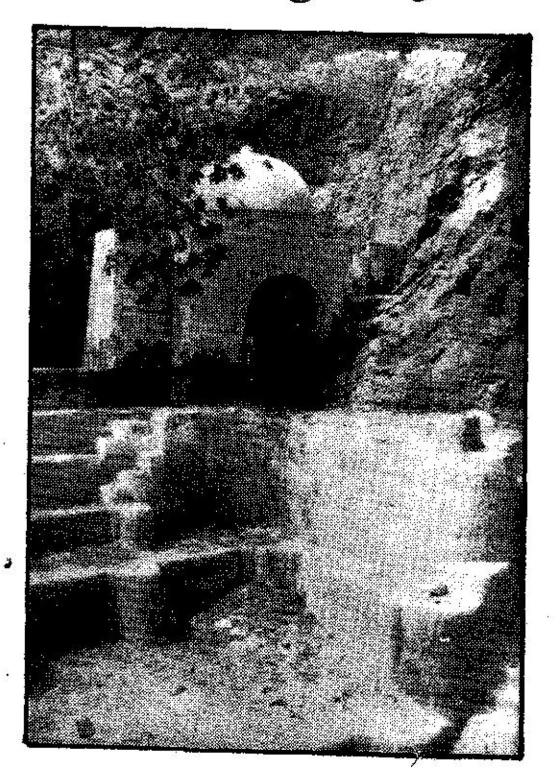
وتفيد تقارير أخرى عن وجود صهاريج في جبل صيرة ، وهو كالجبل الأخضر ، يهيمن على الميناء ، تقع عليه إحدى القلاع المهمة ، ويتمتع بموقع استراتيجي فريد . إلا أنه موقع يمكن أن يحصر ، ويقطع التموين من المدينة .

وهناك عدة مواقع أخرى شملتها قائمة بليفير ، كبستان الفرس ، وثكنات (سبندي) قيل أنها كانت في القطيع .

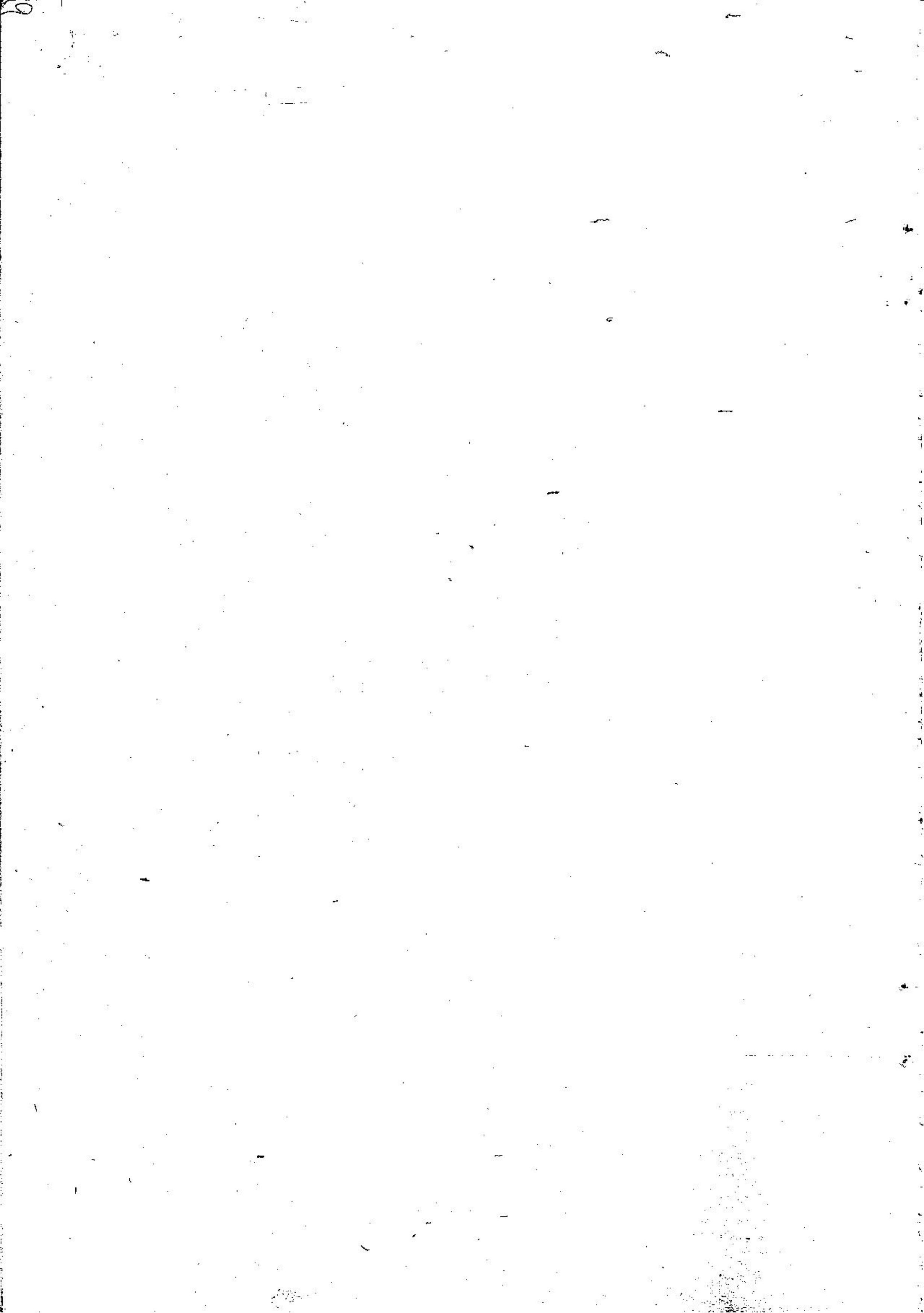
صهاريج المدينة

ولم يبق شيء من صهاريج المدينة ، ولا يعرف مواقعها سوى ما ورد في كتاب إبن المجاور ، وجداول بليفير . وهي صهاريج إعتمد سكان المدينة عليها . ومن المحتمل إكتشاف كثير منها عند شق طرقات جديدة ، أو ترميم مجاري المدينة . وقد وضع الفصل الخاص بالمسح الطوبوغرافي في مؤشرات للمواقع المحتمل وجودها فيها .

وبعد هذا العرض الشامل لمواقع الصهاريج في الأودية والمدينة ، سينحصر البحث الآن على الصهاريج الباقية والمشهورة في وادي الطويلة .



صهريج إبي قبه



صهاريج الطويلة

هو النظام الوحيد الباقي من الصهاريج . واختفت بقية الأنظمة في الوديان الأخرى . وستعتمد هذه الدراسة على الأصول المكتوبة : في دراسة (بليفير) والمراسلات التي تبودلت بين المسؤولين ، والخبراء ، والمهندسين ، وحكومة الهند في الوصول الى تصور أدق في حقيقة شكل الصهاريج قبل أن أعيد إستعمالها .

لقد كانت الطويلة ـ على ما يبدوا ـ مدفونة تماما ، وما كان ظاهرا منها انحصر ـ حسب ما رآه الرحالات ، والسياح الذين سجلوا ملاحظاتهم ـ على صهريج (أبو سلسلة) ، وصهريج (أبو قبة) ، والصهاريج الثلاثة التي ربما قصدها سولت في غرب الوادي ، ويمكن إلحاق الصهاريج المعلقة فوق بستان الفرس ، فهي وإن لم تكن في الطويلة ، إلا إنها تقع في أخدود عند إنتهاء وادي الطويلة مباشرة ، ويرتبط نظامها بنظامه .

وبعد المسح ، والتنقيب ، (بل وبعد الترميم ، وما رافقه من تعديل) نشر (بليفير) دراسة عن الصهاريج حوّت جدولين . (A) لكافة الصهاريج التي رممت واعيد تنظيمها .عشرة منها داخل الوادي ، وثلاثة خارجه .وجدول (B) لبقية الصهاريج (وهي حوالي سبعة وثلاثين) اكتشفت في مختلف انحاء المدينة ، سواء المعلقة منها في بطون الجبال ، أو داخل المدينة .وباستثناء اثنين ،أو ثلاثة اعيد ترميمها ،فقد توقف ترميم الباقي ،واندثرت

كلها ،واختفت من الوجود .وكان أهم ما رمم ،واعيد استعماله ،هو ذلك الصهريج آلضخم خارج سور الطويلة ،الذي سمي باسمه ، ويفيض ماؤه الي السائلة في اتجاه المدينة ،وسعته أربعة ملايين جالون ،ورمز اليه ب (I) في جدوله (A) .

ومن الصعب الإعتماد كليا على جدول(A) فإنه يبدو إنه أعد في دور تخطيط ، واكب التنفيذ . فقد أضيفت صهاريج ، وإختفت عدد مما توقف ترميمه في الطويلة في جدول (B). وبالمقارنة بينها ، وخارطة (نورس - بنهي) التي تضع الصهاريج في مواقعها الحالية ، يمكن استنتاج شكل هذا النظام قديما . ووضع خارطة تصورية لحالها من قبل .

ويتضح من هذه المقارنة ما يلي :-

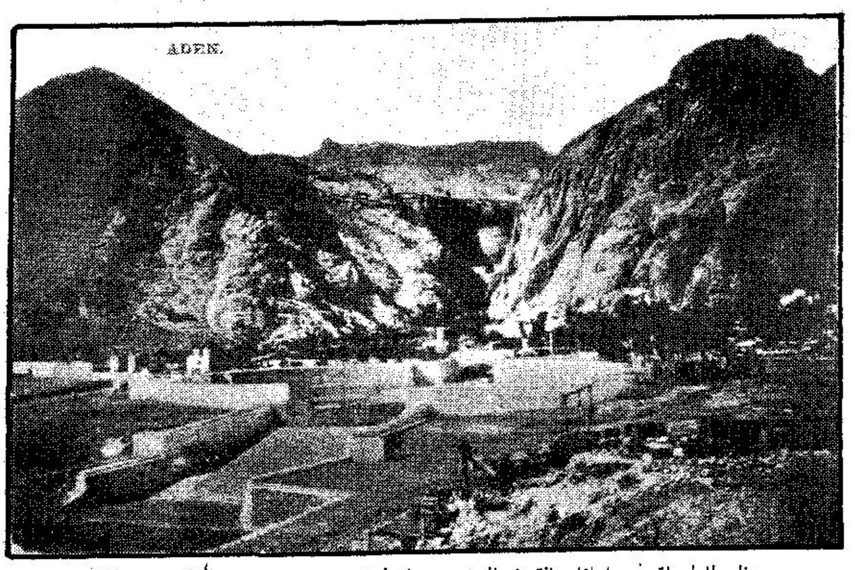
١. ان صهريج كوجلان (الصهريج الضخم الواقع في وسط الوادي) لم يكن موجودا ، وليس له أية قيمة أثرية ، فلا يظهر في جدول بليفير ، وبني على ما يبدو بين سنتي ١٨٥٨ و ١٨٦٠م (١)لتصب فيه كافة الصهاريج من (١ الى ٦ في خارطة نورس - بنهي) من جانبي الوادي .

٢. ولم تكن القناة الممتدة بينه ، وبين صهريج بليفير موجودة ، فلاداعي لها بدون هذا الصهريج .

يؤكد هاتين النقطتين ما كتبه الكابتن (فولر) الى بومباي يقول :-
«وبعد الإنتهاء من صهريج كوجلان المتوقع في نوفمبر ، يجب إنشاء قناة بينه وصهريج بليفير» .(٢)

٣. ولا توجد قناة بين صهريج كوجلان ، والصهاريج العليا الذي يصب فيها (أبو سلسلة) ، فلا داعي لها أيضا مادامت الآن تصب في كوجلان: صهريج لم يكن موجودا من قبل . فلا يشير اليها بليفير في جدوله .

ويؤكد استحداث هذه القناة رسالة كتبها الكابتن (فولر) الى بومباي في ١٧ أكتوبر ١٨٥٩ يصف ما قام به من تعديل وترميم .فقد ذكر انه عمق صهريج ابي سلسلة باضافة جدار على جداره الحالي ، وان قناة شيدت تصل بينه ،وصهاريج (٢، ٣، ٤، ٥ في نورس - بنهي) ، وصهريج (كوجلان) .(٣)



منظر للطويلة في اوائل القرن العشرين .اخذت من صهريج (الفارسي) بليفير

٤. يستنتج من قائمتي بليفير ان ثمانية عشر صهريجا (١ الى ١٠) ، ومن (A الى K) تصب في (I) صهريج بليفير ، بدلا من صهريج كوجلان والقناتين منه واليه اما الان فقد اختفت جميع الصهاريج (A الى K).

٥. ولا يصل الآن الى بليفير الا مايفيض من كوجلان وما ينحدر من صهريج معلق فوق بستان الفرس .

٦. كما يلاحظ ان صهريجا اعطى رقم(٢/١ ٨).وهو رقم شاذ يعطى لصهريج ، ودليل على الاضطراب الذى وقع فيه القائمون باعمال الترميم.

فلعله صهريج اكتشف بعد ان اعطيت بقيتها ارقاما ، وصار اعطائه رقما كاملا ، يلغى الارقام المسلسلة للصهاريج ، او انه صهريج استحدث بين انقاض صهريجين ليكون صلة بين رقمى(٨) و (٤)فى غرب الوادى ، وقناة منه عبر الوادى الى صهريج (٧) وهو (٦) فى خارطة نورس - بنهى .

٧. تفيد قائمة بليفير انه توجد سلسلة من الصهاريج فى شرق الوادى بعد رقم (٧) متجهة الى معبد الفرس .وقد رمز اليها ب (C,D,E,G) . وقد اختفت جميعها ، ويمكن اليوم ملاحظة آثار تفجير مواقعها . ولعلها نفسالقناة التى ذكرها كوجلان فى تقريره الى بومباى ، والتى تتخللها سلسلة خزانات متجهة نحو المدينة

٨. يتضح من قائمة بليفير بان المياه كانت تصب فى صهريج (بليفير)من ناحيتين :

الاولى : من جهة الشرق . صهريج (H) يسبق صهريج بليفير ويتلقى الحجارة ، والطمى قبل ان ينزل الصهريج . وقد نظف ولكن لم يرمم ، واختفى الان نهائيا . ويوحى ذلك بان هذا الصهريج يقع فى نقطة ما على جبل حيث يسقط اليه الماء مباشرة منه قبل ان يصل خاليا من الطمى ، والحجارةالى صهريج بليفير.

الثاني : صهريج(J) قريب من بليفير ويصبفيه ، وصهريج آخر (K)ليلتقى الحجارة ومنع سقوطها في (J) .ويقوم (K) بنفس مهمة (H) في شرق الوادي .ولذا فانه من المنطقي أن يكون موقع (J و K) على العدوة الغربية للوادي .ولا وجود لها الآن ايضاً.

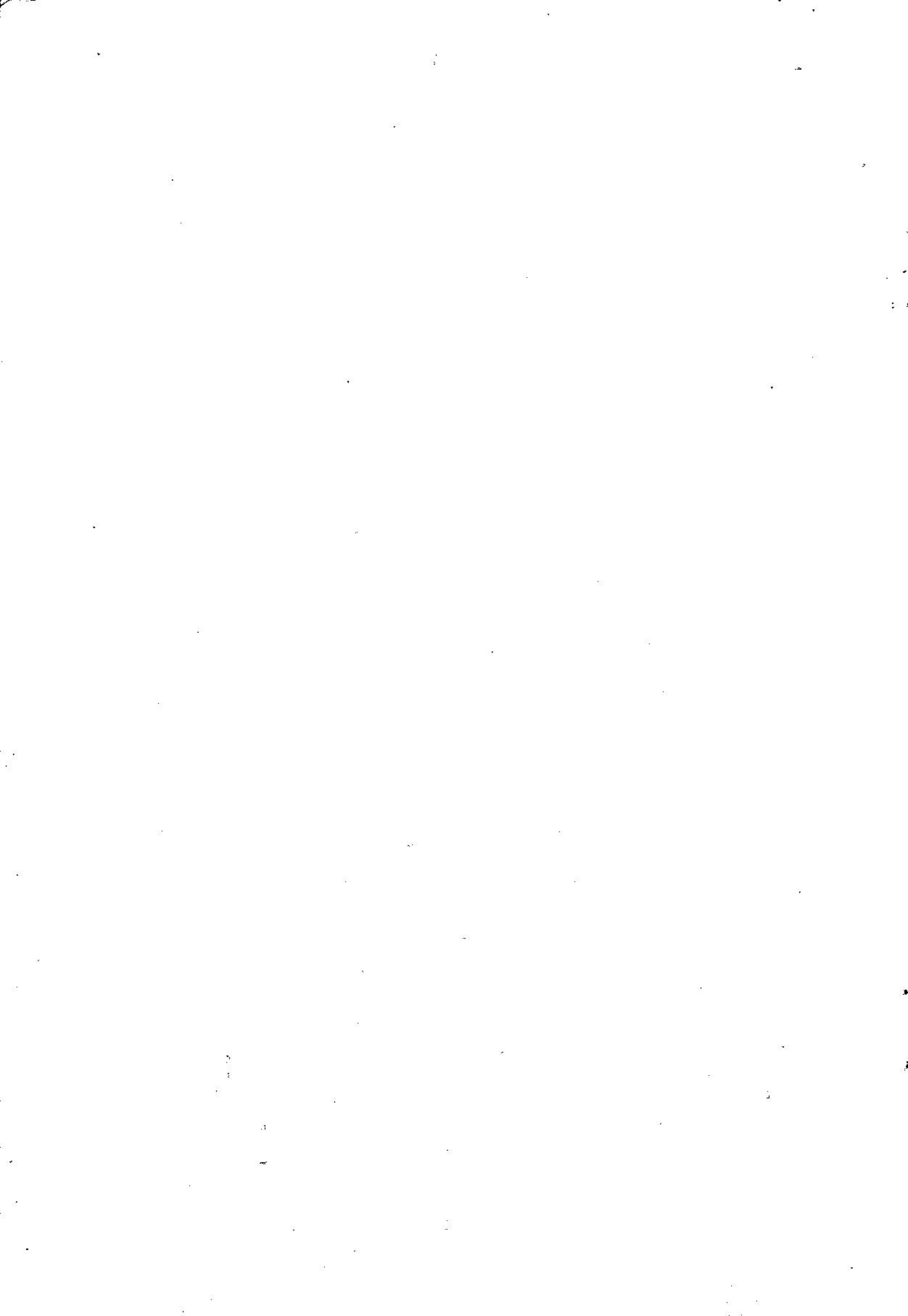
وقد وضعت خارطة لهذا التصور بمايمكن ان تكون عليه حال الصهاريج قبل ترميمها ، اعتماد على جداول بليفير ، وتقارير المهندسين. وهذا تصور اقرب ان يتخذ كنقطة يدرس من خلالها ماضى الصهاريج .

اما النظام الحالى فينزل الماء من الجبل مباشرة الى صهاريج (١، ٢، ٣، ٤، ٥) من شرق الوادى وتصب كلها فى قناة موزيه لها الى صهريج كوجلان . وينزل الماء الى صهريج (٦) وهو (٥، ٦، ٧ فى قائمة بليفير)فى شرق الوادى ، ويصب ايضا فى كوجلان رقم (٧) . ومنه الى (٨) ثم عبر قناة الى رقم (١٦)والى بليفير (١٧) . اما الصهاريج الباقية مستقلة منقطعة عن بعضها .

وقد اتخذ نظام الطويلة ، حسب خارطة نورس - بنهى (وهو النظام الحالى) شكلا لا علاقة له بما وصفه بليفير ، او بما قصده بناته الاصليون . فقد قضي الترميم والتعديل على اغلب ملامحه ، اضافة الى ماسببه الاهمال ، وتقادم الزمن .

وفى الجانب الغربى من الطويلة يقع صهريج (ابو قبة) : هو فى الواقع صهريجان يرتفع احداهما بضعة اقدام عن الاخر ، تفصل بينهما سلالم حجرية، تعلوها قبة . ومن الواضح ان هذه القبة كانت اضافة الى الصهاريج بنيت فى احدى العصور الاسلامية، وربما كان بجوارها مسجد تهدم واندثر. ويحتوى الصهريج العلوى على مدرجات فى مستويات مناسبة تسمح بالهبوط تدريجا مع انخفاض مستوى الماء فى الصهريج .

ويفيد بليفير بانه وجد عندما رمم هذا الصهريج ضريحا لاحد الصلحاء، ونقش نزع من الضريح قبل ان يتمكن احد من دراسته ومعرفة تاريخ صاحبه.



مصارف للماء أم خزانات

يبدو واضحا ، اذا ، أن ماتسمى بالصهاريج فى الطويلة انحصرت فى رأس الوادى وشرقه وغربه .شيدت فى عرض الجبال لتتلقى الماء من الشلالات المنحدرة منها .وينتقل الماء بعدئذ من صهريج الى اخر ،اما مباشرة اذا كانا متصلين ،او عبر قناة تربط بينهما .ولايوجد اى صهاريج ،او قنوات تتوسط الوادى .ويؤيد هذا الاستنتاج ماكتبه بليفير عندما وصفها قبل ترميمها :- «وما يفيض من خزان يسيل الى اخر ، ولذا فانى اعتقد انه توجد سلسلة كاملة منها تصل الى وسط المدينة ،حيث توجد خزانات صغيرة - تكتشف يوميا - لايمكن ان تمتلئ الا بهذه الوسيلة» (١)

ولعل مايؤكد هذا الاستنتاج ،الذى يؤيده ماكتبه بليفير ،هو السياسى المقيم كوجلان الى بومباى ٢٥أغسطس ١٨٥٦ :-

«فى الثالث والعشرين من هذا الشهر ،رفع الى مساعدى تقريرا بانه اكتشف قناة تتخلل طريقها عدة خزانات عميقة ، يتضح من مسارها انها قادمةمن وادى الطويلة متجهة نحو المدينة . وما قمنا به من تنقيب يكفى لتحديد مسارها فقط ، فمن الصعب التكهن باى استنتاج ،ولكنى لااستغرب اذا انتهى الامر الى انه نظام اكبر مماتم اكتشافه الى الان» (٢).

اما انه نظام اكبر فذلك ماثبت بعد ذلك ،وماستقرره هذه الدراسة لاحقا .اما بهذه الخزانات المتصلة بعضها ببعض فهى ،لاشك ،ماأشاراليها بليفير فى جدوله (B) (C,D,E,F,G)وكلهامتجهة شرقا نحو بستان الفرس، وقد سلف التنويه اليها .

ويستأنف كوجلان تقريره :ـ «وتبدأ هذه السلسلة من الصهاريج عند آخر خزان فى رإس الوادى متخذة اتجاها شرقيا لعدة مئات من الاقدام حتى تصب فى صهريج دائرى ، وبعدها تتجه الى بستان الفرس وتقابل صهريجا آخر ، وهذا نهاية ما وصل اليه التنقيب» . (٣).

ولعل هذا الصهريج الدائرى هو (H) فى قائمة بليفير والذى يصب فى صهريج بليفير بعد تصفية الماء من الحجارة .

ومن هذا المنعطف عند بستان الفرس ، ينحدر الماء ، كما يبدو ، الى الخزانات الموجودة فى البستان نفسه ، ومتحداً مع الشلالات المنحدرة من الصهاريج المعلقة فوقه فى إتجاه المدينة .

وامتداداً لهذا الاستنتاج فان المسار الغربى لصهاريج الطويلة يتخذ نفس الاسلوب ، ليصب جزء منها فى صهاريج المدينة ، وجزء ينفصل عند منعطف الوادى ليتجه جنوبا عبر قناة تمر فى صهريج لتصفية الحجاره وصهريج اخر ليصب فى بليفير من جانبه الغربى . وقد رمز بليفير الى هذين الخزانين برقم .(J,K)

وعلى هذا فان نظام الطويلة عبارة عن سلسلة متصلة من الخزانات فى شرق الوادى وغربه ، تتلقف الشلالات المنحدرة من جبل شمسان عبر هذه الهضبة المطلة على الطويلة .

ويتضح نتيجة لذلك أن هناك نظامان درج الناس على تسميتها جميعاً

بالصهاريج ، وهى تسمية إفتقرت الى الدقة ، وكانت إحدى الأسباب التى عرقلت الوصول إلى معرفة كنهها ، وتاريخها .

النظام الاول : صهاريج منتشرة في داخل المدينة هدفها خزن الماء وحفظه كما سلف ذكره ، قد شيد بعضها في طريق السائلات أو في أسفل الأودية ، وبعضها في أماكن أخرى لعلها مربوطة بشبكة من القنوات مع هذه الصهاريج.

ومن الواضح أنه لم تشيد هذه الصهاريج لخزن مياه الآبار ، أو تلك المجلوبة من موارد خارج المدينة . فقد سلف أن مايصل من الجمال المحملة بالماء يومياً ، والتى تبلغ أقصاها ألفا جمل أيام الدولة الطاهرية - أزهى عصور المدينة - لايزيد مقداره عن أربعين الف جالون . وهي كمية إذا صبت مباشرة بدون استهلاك قطرة ماء منها لايمكن أن تملأ أكثر من عشرة سنتيمترات من قاع صهريج (بليفير)الذى تقدر سعته بأربعة ملايين جالون . ولا مبرر لخزن ماء ابارها ، فلا يوجد مايمنع دون الإستفادة منها في أي وقت . ولذا فقد شيدت الصهاريج في الغالب لخزن مياه الأمطار ، فهى الطريقة الوحيدة لملئ عدد كبير منها بعشرات الملايين من الجالونات من الماء العذب في ساعات قليلة ، يمكن خزنه طيلة العام .

النظام الثاني : وهو ماوصف بالخزانات المعلقة ، وسيلة لتلقف الماء المنحدر من روؤس الجبال وتوجيهه عبر مسالك إلى هذه الخزانات وسط المدينة . وهو نظام مألوف في اليمن ، شبيه بالخزانات ، تبنى على طريق الشلالات ، ومساقط المياه ، لتستقبل الماء ، فيجري من خزان إلى آخر عبر قنوات إلى حيث الحاجة إليه : إلى المزارع ، والصهاريج ، أو برك المساجد.

وتحوي قائمة بليفير هذين النظامين : مصارف على الجبال ووديانها ، وصهاريج شيدت ليخزن الماء فيها . وأفضل مثال على ذلك نظام

الطويلة التي يصب في صهريج (بليفير) في أسفل الوادي ، وأندثرت أنظمة شبيهة به في أعالي وادي العيدروس والخساف .

وقد أدرك ذلك كبير المهندسين الكابتن فولر فكتب يقول : «وقد يتسائل الفرد لم لا توجد قناة تربط بين هذه الخزانات (في الطويلة)؟ : إن انطباعى هو أن هذه الخزانات كانت قديماً خزانات معلقة ، تستقبل الماء مباشرة من التلال . وقد تزايد الطمي ، والحجارة في الوادي حتى غطاها . وهذا التعليل ينطبق على كافة خزانات الطويلة عدا صهريج (بليفير) الذي يقبع منعزلاً في شمال الوادي (٤).

وبذا ادرك فولر جزءاً من الحقيقة ، وأمكنه التمييز بين صهريج كبليفير ، يقف منعزلاً تصب فيه المياه لخزنها ، وتلك المعلقة في الجبل لتلقف مياه الشلالات . وما غاب عنه أن هذه السلسلة من الخزانات المعلقة متصلة ببعضها ، يفيض الماء من واحدة الى الأخرى ، كما وصفها بليفير ، ولاداعى لوجود قناة مستقلة .

وبهذا المفهوم تتضح الصورة لنظام الطويلة قديماً فهو مصارف ترتفع عن مستوى قاع الوادي ، وتنساب موازية لإنحداره . ويقصد بالقاع ، أرضيته البكر ، قبل أن تغمره السيول بالطين خلال القرون نتيجة لتحطم بعض هذه المصارف ، وسقوط الماء والحجارة إلى الوداي مباشرة ، مماسبب ارتفاع القاع إلى المستوى الحالي ، حتى ساوى سمت هذه المصارف ، واعطت انطباعاً خاطئاً لمن يراها ، وكأنها محفورة في قاع الوادي .

ويوجد شبيه لهذا النظام في أنحاء مختلفة من اليمن ، ولعل ماوصفه الجندي مثلاً مقارباً لمصارف المياه نسب بناؤها لمنصور إبن المفضل في القرن الخامس / القرن الثاني عشر ، فقد قال في ترجمة القاضي أبي بكر بن محمد بن عبدالله بن ابراهيم اليافعي :-

«ومن احسن ماورد فى ديوانه مدحا لمنصور بن المفضل وذكره اياه»
وانه الجار لغيل الجند من خنوه (بالخاء المعجمة مخفوظة ونون ساكنة ثم واو مفتوحة ثم هاء ساكنة)وهو غيل عجيب خصوصاً طريقه ، فانه جعلها وسط الجبال ، فقد بين ذلك القاضي فى شعره ، ولم أعرف أن الفضل هو الجار له إلا من شعر هذا القاضي» (٥)

ومن هذه القصيدة :ـ

واقل مكرمة له وفضيلة — اجراؤه للغيل فى الأجناد
شق الجبال الشامخات فاصبحت — وكانما كانت ثعاب وهاد
فاليوم اصبح ماء خنوة وهى فى — الجند العزيزة منهل الوراد

ويشرح الجندى هذه الابيات :ـ
«وفي قوله شق الجبال الشامخات دليل على أن طريقة مما لايتخيله الذهن انها من أعمال الأدميين فلقد أحسن المفضل ، وأبقى له في المفاخر فخراً وفي الحسنات ذكراً».

ويصف الجندى روعة هذا النظام :ـ

«ومن آثاره المبقية للذكر جره الغيل من خنوة إلى مدينة الجند ، ولقد مر في مواضع احتفر بها طريقه في أصفية بحيث لايكاد يصدق بذلك على السماع ، لأنه نقر في الصفاء حفراً عديدة ، وأجرى الماء فيها ، ثم لما جاء بين جبلين أجتاز الصناع فى ذلك فابتنى جداراً طوله من الجبل الى الجبل نحواً من مائتي ذراع ، وارتفاعه في الأرض نحواً من خمسين ذراعاً ، وعرضه نحواً من عشرة أذرع بالجديد ، وهذا تقدير مني على طريق الحزر والتقريب ، ولقد إذا رآه شخص يقول ماأقتدر على هذا الحفر إلا الجن ، ولولا ثبوت ذلك وادعاه مدع لم يصدقه .»(٦)

وهذه صهاريج معلقة ومصارف للماء ، لايبعد شكلها عن مصارف

الطويلة سوى انها أكثر تعقيداً لبعد المسافة التي تمر بها .

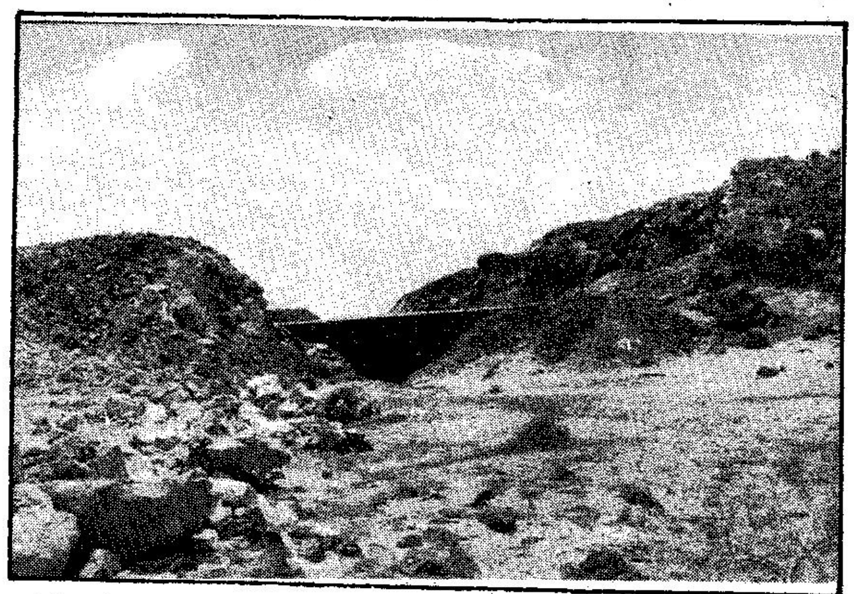
وفي نطاق هذا المفهوم لنظام الطويلة . يمكن الوصول إلى حل للغز الذي لازمها وأخذ الباحثين . والمؤرخين سبلاً شتى ووضعوا أسباباً عديدة لإغفال كتب التراث لمعالم كهذه لايمكن أن يفوت من سكن المدينة . أو زارها . الإشارة إليها . وقصد قدماء الرحالات والمؤرخين ـ عند ذكر الصهاريج ـ الإشارة إلى هذه الخزانات في داخل المدينة . وليس إلى هذه المصارف في الطويلة ، وفى بطون الجبال . ولعل سؤ التمييز بين هاتين الفكرتين كان السبب المباشر لسوء فهم هدفها . وبالتالي تاريخها . وأدى في النهاية إلى كارثة : القضاء عليها كموقع أثري.

وكان إبن المجاور أول مصدر قديم مكتوب ميز بينهما . فوصف صهاريج المدينة كمرافق تختلف عن هذه المصارف المبنية في بطون الوديان ورؤوس الجبال . وأعطاها صيغة لاسمها هو أقرب إلى التسمية الحالية لما شابهها باليمن . وأكثر إنطباقاً إلى هدفها . وقد سماها بالصرائف ولعله الإسم الذي كان متداولاً بين الناس لها في مطلع القرن السابع/الثالث عشر م ، لاستقبال مياه الامطار . وتصريفها ، وتوجيهها إلى المزارع ، والكرفان ، والصهاريج لخزنها .

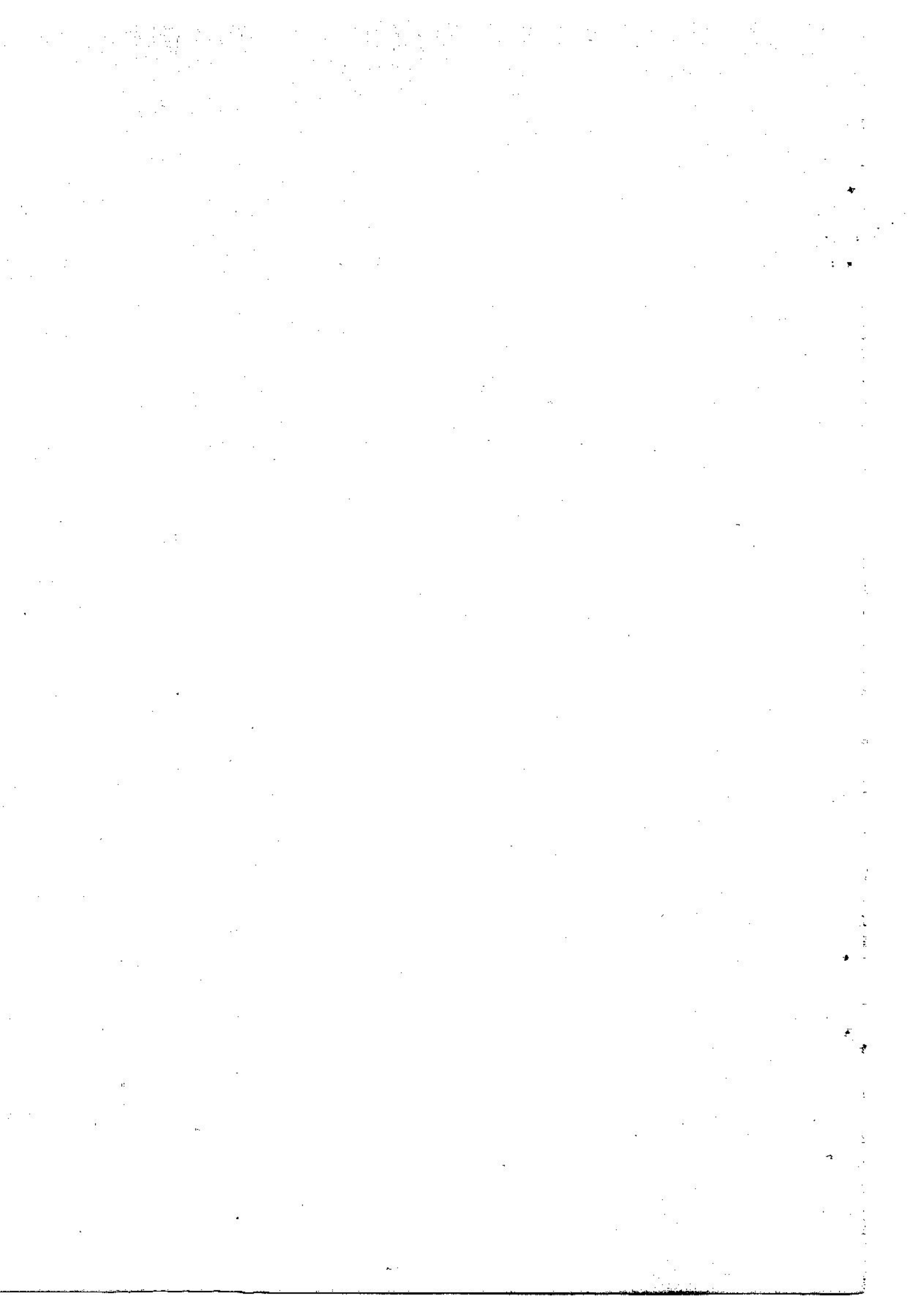
ويبدو مؤكداً أن هذه المصارف هي ماقصده إبن المجاور (بالصرائف) ونسبها إلى أقوام مجهولين ، استوطنوا المدينة في عهود سحيقة : إلى نهاية حكم الفراعنة . فنسب بناءها إلى قوم جاؤا من جزائر (القمر) ، واستوطنوها بعد أن طردوا من وطنهم الأصلي . «إلى أن قدم أهل القمر بمراكب ، وخلق ، وجمع ، وملكوا الجزيرة بعد أن أخرجوا الصيادين بالقهر ، وسكنوا على ذروة الجبل الأحمر ، وحقات وجبل المنظر ، وهو جبل يشرف على الصناعة وآثارهم إلى الآن ، وبناؤهم باق بالحجر ، والجص ملئ تلك الأودية والجبال.»(٧)

ويستأنف إبن المجاور إن أهل القمر أخرجوا من في عدن «وملكوا البلد وسكنوا الوادي : موضع هو الآن عامر بصرائف . وهم أول من بنى الصرائف في عدن .(٨)

وبصرف النظر عن تقدير إبن المجاور لعمر هذه الصرائف ، ونسبة بنائها إلى أهل القمر ، إلا أنها كانت موجودة في عصره ، ومعروفة بهذا الإسم . أما عمرها فلاشك انها عاصرت صهاريج المدينة منذ البداية ، فلا معنى لوجود الصهاريج بدونها ، فهي الوسيلة الوحيدة لتلقي الماء ، وتصريفه إليها ، ولا معنى لوجودها بدون هذه الصهاريج .



احد السدود (السبعة الدروب) التي أقامها المهندسون البريطانيون على الهضبة لحجز الطمي والحجارة .وادت الى حجز الماء وتسلله الى باطن الجبل بدل جريانه بحرية الى الطويلة.



الترميم

كان الماء أحد المشاكل العويصة التي قابلتها سلطات الإحتلال البريطاني ، بعد إحتلالها مباشرة لعدن . زاد من تعقيدها سؤ العلاقة مع المشيخات المجاورة ، وتصعيد المقاومة ، ومحاولة إستعادة المدينة خلال الأربعينات من القرن التاسع عشر .

وقدَ واكب هذا مازاد الأمور تعقيدا : إزدياد متسارع في جلب آلاف الجنود من الهند ، إمتلأتَ بهم عدة معسكرات داخل المدينة ، وعند جبل حديد ، في خارجها ، إضافة الى عدد كبير من المجلوبين من التجار ، والعمال ، والموظفين .

وأصبح واضحا في منتصف القرن التاسع عشر أن الآبار في داخل المدينة لم تعد كافية لسد حاجة أهلها ، اضافة الى المعسكرات ، وتموين السفن ، فقد كانت تمون من آبار الخساف ـ أعذب آبار المدينة آنذاك ـ حين كان (صيرة) ـ ميناء عدن في ذلك الوقت ـ . وعندما تحول الميناء الى التواهي ، جلب اليه الماء بالقوارب من (الحسوة) في الشاطئ المقابل لشبه جزيرة عدن .(١)

إلا أن تكاليف نقل الماء من الحسوة كان باهضا ، إذ كان ينقل بالقوارب عبر بحر التواهي الى باب عدن بسعر خمسة أضعاف ما يباع منه من آبار المدينة ، وفي هذا يقول بليفير :- « وفي الوقت الحالي تدفع الحكومة لمقاول الماء في الحسوة مبلغ (ربية واثنى عشرة آنه) لكل مائة جالون مقابل تموين السفن الحربية ، ومختلف الإدارات الكائنة خارج الباب . وضعف هذا المبلغ لتموين السفن التجارية » . (٢)

وبدأ التفكير في عدة مشاريع ، منها مشروع الزائدة . وهو مشروع ينبغي فيه التعاقد مع سلطان لحج للسماح بمرور الماء عبرأراضيه وقامت مسوحات واسعة للوديان القريبة ، كتبن ، وبنا ، وإعادة تلك القناة التي نسب إنشاؤها الى الطاهريين ، والتي تمتد من البر عبر المجراد الى خزان تحت جبل حديد . ولكن سرعان ما أدرك إصحاب هذه الفكرة إستحالة تنفيذها ، فقد إشتدت حملة المقاومة خلال الخمسينات ، وإشتد الصراع بين



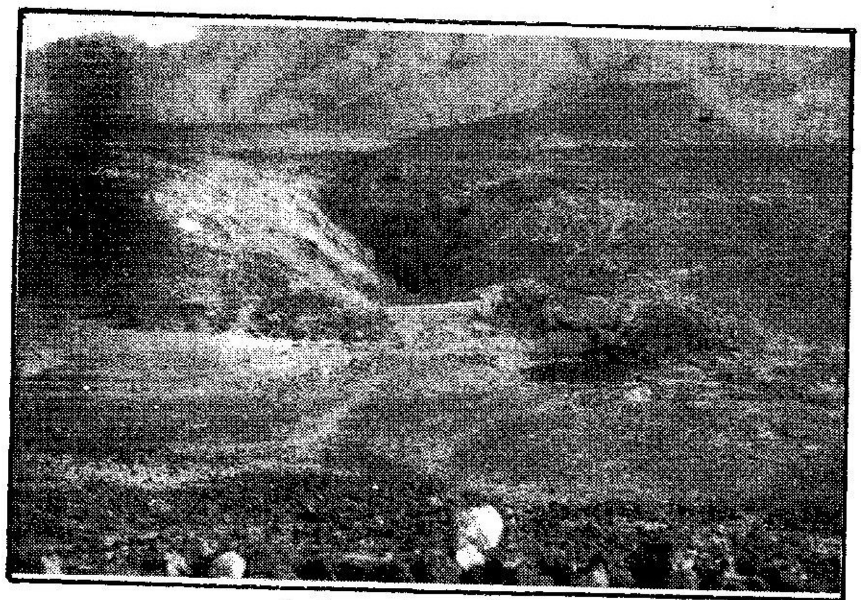
القناة التي تصل صهريج كوجلان بصهريج بليفير . استحدثت بعد تشيد صهريج كوجلان في (١٨٥٨ - ١٨٦٠)

المشيخات ، والقبائل ، والسلطة البريطانية في عدن . وفي ١٨٥٨ كتب السلطان علي العبدلي بأنه قرر اقفال الحدود بينه وبين عدن « حتى يعود الى الحكومة (البريطانية) عقلها » (٣)

وإستقر الرأي أخيرا على الأستفادة من الصهاريج . وعلقت آمال عريضة على حل أزمة الماء بترميمها ، وخزن الماء فيها ، وأسند تنفيذ ذلك الى الكابتن (بليفير) : المؤرخ المشهور . ورممت ثلاثة من هذه الصهاريج بتمويل محدود من البلدية ، ومن ريع بيع بعض مياه المطر ، وأستخدم لذلك فريق من السخرة من المسجونين . وبعد ذلك وضعت تحت تصرفه ميزانية تبلغ ثمانمائة ربية في العام من ريع كراء أرضية المباني . ولكن ظهر بعد التنقيب أن عددها أكبر مما كان متوقعا ، وأضطر الى رفع طلب بزيادة في المخصصات لإنهاء العمل بشكل جيد . (٤)

وكانت آماله كبيرة ، وحماسته واسعة لا حدود لها ، بأن ترميم هذه الصهاريج سيمكن السلطات من أن : « تسترد أكثر مما أنفق عليها عند أول مطرة غزيرة » (٥) . وقد تعلق بهذا الأمل غيره ، واعتقد بأنها حلت مشكلة الماء في عدن ، وأغنتهم عن الدخول في مصالحات ، ومفاوضات مع القبائل المجاورة ، ومشائخهم . وقد كتب أحد كبار الموظفين البريطانيين في ١٨٥٦ ، وهو في طريقه الى إنجلترا مهنئا الكابتن كوجلان ، السياسي المقيم في عدن على نجاحه في ترميم ستة من الصهاريج ، ووشك الإنتهاء من سبعة آخرين :ـ

« ولا يمكن أن أهنئكم بما فيه الكفاية على نجاحكم بوضع تموين عدن بالماء الكافي ، على أساس راسخ . أقل ما يبهج فيه ، تلك المصروفات الضئيلة لتنفيذه . وفي رأيي انه يستحق صرف مئات آلاف من الربيات على ما أنجز ، أو مايوشك إنجازه ، ببضعة آلاف فقط . وما لم يصبح لعدن مورد



سد آخر من الدروب السبعة

مستقل داخل حدودها ، فانا سنكون - الى حد بعيد - تحت رحمة القبائل المجاورة ، وقد يضطرنا الحصار بسبب ذلك الى الإستسلام ، على الرغم اننا خسرنا مئات الالوف في تحصين المدينة » . (٦)

ولكن سرعان ماخابت هذه الامال . فقد رمم اثنتا عشر صهريجا حتى ١٨٥٧ ، وامتلات كلها فى اكتوبر من ذلك العام. واستمر ترميمها الى ١٨٦١ ، وبلغ ماصرف عليها ثلاثمائة وخمسون الف ربية ، بينما بلغ مردودها حوالى اثنان وستون الف روبية ، اى اقل من خمس ماصرف عليها .(٧) وامتنعت الحكومة عن الاستمرار فى المشروع ، وتوقف عند اكبر وافضل الصهاريج :الصهريج الدائرى ، صهريج بليفير الكائن خارج الوادى، وسعته تزيد على اربعة مليون جالون.

واضطر السياسى المقيم كوجلان ان ينهى المشروع بطريقة اخرى . فقد تقدم ثلاثة من التجار هم (قهوجى دنشو)، (وادلجى منكيجى)، (وحسن

على)بمشروع لترميمه مع ستة صهاريج اخرى على حسابهم مقابل استغلالها . وقبل هذا العرض وعقدت اتفاقية في ١٨٦٣ لمدة عشر سنوات جددت في ١٨٧٣ الى ثلاثين اخر .(٨)

وبهدف ترميمها قام المهندسون بمسحها . الا انه لا وجود لاية خارطة معروفة قبل ، وا ثناء ، وبعد ترميمها . والغريب الا توجد مثل هذه الخريطة مصاحبة للمسح . وقد ابدى بليفير اسفه ـ وهو المسؤول الاول عن ترميمها ـ ان ينشر تقريره بقوائم تشير الى مواقع الصهاريج بدون ان يتمكن من وضع خارطة لها. (٩)كما ان كبير المهندسين الكابتن فولر اعتذر عند ارسال تقريره ان مشاغله منعته من ارفاق خارطة طيه .(١٠)

والتفسير الوحيد الذى يمكن تقديمه ، هو انه نظرا للسرعة التى تم فيها العمل ، والتعديل المستمر للخطط اثناء التنفيذ ، جعل هذه الخارطة فى تغيير مستمر فقدت معه جدواها . يتضح ذلك من تناقض التقارير واختلافها



احد السدود التي اقيمت فوق وادي الطويلة ليحجز الحجارة .وبدلا من أن يتم ذلك احدث فجوة يغيض فيها الماء قبل نزوله في الصهاريج

واضطراب بعضها ، ويؤكده الشكل النهائى للصهاريج اليوم بما لايمكن انسجامه كليا مع تلك التقارير .

وفرض على الصهاريج غموض لازمها زهاء قرن . كان سؤ التوثيق، لحالتها ، واحجامها ، ومواقعها قبل ترميمها ، سببا فى ضياع معالمها الاصلية وجعل تعقب تاريخها اشبه بالمستحيل .

ولعل اخطر عامل ادى الى هذا الغموض هو سوء فهم المهندسين - انذاك - لهدف الصهاريج ، او لعله اصرار من البيروقراطية على اعتبارها وسائل خزن للماء لاتصريف له . وادى ذلك الى قلب مهمتها : فتحولت المصارف الى خزانات ، بل لقد اضافوا خزانات اخرى لم تكن موجودة لمضاعفة خزن الماء . وتحولت الطويلة الى خزان هائل ، واختفى ذلك الوجه الحضارى بضياع التقنية التى شيد بموجبها هذا النظام ،

وفى سبيل الاستفادة من كل قطرة مطر تنزل على جبال شمسان قام القدماء بتخطيط متقن بارع ، وخلق نظام كرست فيه نتائج خبرات موروثة منذ القدم خفيت على المهندسين المجلوبين ، منها مايلى :-

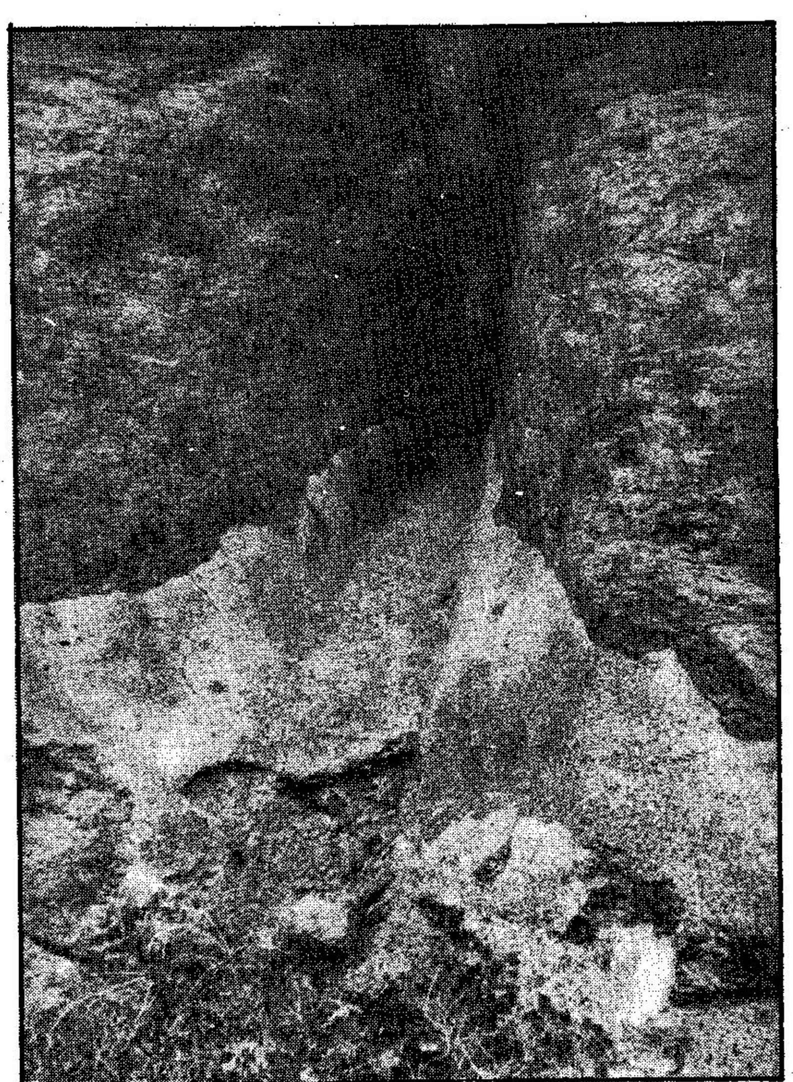
١. تصفية الهضبة التى تعلو الصهاريج من الحواجز ، والعوائق على طريق الماء لكى يجد حرية فى السقوط كشلالات الى وادى الطويلة ، وتتلقفه هذه المصارف . ولعلهم حرصوا ان يعيدوا الهضبة الى ماكانت عليه بعد كل موسم.

ويفيد الخبراء ان سقوط نصف بوصه من الامطار تكفى لان تتشبع الهضبة بعد جفاف طويل حتى يبدأ الماء فى الانحدار .

٢. درج القدماء على سد كافة الشقوق على الهضبة ، وصفحة الجبال المنحدرة الى الطويلة ، والصهاريج نفسها ، منعا لتسرب الماء الى جوف الجبل وضياعه . وبالفعل فقد اوصى الخبراء المهندسون القائمون على

اعادة ترميم نظام الطويلة بالحرص على سد هذه الشقوق بالجص .

٣. شيد نظام الطويلة لغرضين : تلقى هذه الشلالات ، وتلقف كل قطرة ماء تنحدر من الهضبة ، وحجز الصخور والطمى ليتدفق الماء خاليا منها الى مصبه .



بقايا الجص لسد الشقوق في الجبل .أمر تنبه له القدماء واستهان به المهندسون عند إعادة استعمال الصهاريج

٤- وشيد هذا النظام بحيث يجرى الماء الى قناة ، او قنوات تؤدى الى صهريج فى اسفل الوادى ، ومنه يصب الى صهاريج اخرى . عبر قنوات اخرى . الى صهريج (بليفير)ثم ينحدر فى السائلة ليصب فى صهريج (بنى زريع)فى رأس الزعفران ، ثم الى صهاريج اخرى الواحدة تلو الأخرى على امتداد السائلة حتى البحر .

وعلى الرغم من ان بعض الخبراء ، والمسؤولين قد ادركوا ذلك نوعا ما ، الا انهم -كما يبدو- اظهروا ترددا فى الاصرار عليه . وكانت دواعي تحويلها الى خزانات اقوى ، واكثر تسلطا على تفكير السلطات البريطانية من اى اعتبارات اخرى .

وفى سبيل الوصول الى هذا الهدف قام المهندسون بعكس مايجب القيام كما يلى :-

١. وضعت حواجز من الحجر فى مجاريالمياه المؤدية الى الطويلة فوق، بهدف حجز الرمال ، والحجارة والطمى ، ومنع نزولها الى المصارف. وتعرف هذه الحواجز محليا (السبعة دروب)اضافة الى حاجز ابى سلسلة رقم (١)لنفس الغرض .

وادت هذه الحواجز عكس ماشيدت من اجله . فبدلا من ان يتجه الماء بحرية فى مجراه المرسوم بدأ بالتجمع مشكلا بحيرات اتخذ بعضه مجرى معاكسا ، وتسرب بعضه فى شقوق الهضبة الى باطن الجبل.

واصبح ما يحتاج الى نصف بوصه من المطر لوقت قصير لينحدر الماء وتمتلئ الصهاريج يحتاج الى اضعاف ذلك بعد هذا التعديل . تؤكد ذلك بعض الأمثلة التالية التي وردتها بعض التقارير

وقد امتلأت الصهاريج كلها لاول مرة بعد ترميمها فى ١٢٣كتوبر ١٨٥٧ .ولعل نزول المطر فى تلك السنة كان قياسيا ولم يتكرر مثل ذلك الا قليل لمدة قرن تقريبا . فقد هطلت امطار غزيرة فى صيف ١٩٥٣ مقدراها مابين بوصة وثلثى بوصة ولكن لم يمتلئ الا اول الصهريجين ، الا انه بعد شهرين هطلت امطار غزيرة ، وقد تشبعت الهضبة ،.فامتلات كافة الصهاريج.(١١)

وعند مسح سريع للهضبة اتضح ان هذه السدود قد غيرت فعلا من طبيعة الهضبة . ووجد ان الماء قد تجمع فوق اخر هذه السدود المستحدثة. وهو السد الذى يقع فوق صهريج رقم (١) وسبب حفرة هائلة ينزل منها الماء الى جوف الجبل فى خلف الصهريج بدلا من ان يصب اليه . وبذا تعطل هذا النظام فى الهضبة المصدر الرئيسى لماء الصهاريج.

٢. وبدلا من تجصيص الشقوق على ان جدران الوادى الجبلية منعا الماء فى شقوقها ، عمدوا الى تفجير مواقع فى الجبال لخلق قنوات او منحدرات جديدة ، واهمل اعادة التجصيص وتسبب ذلك فى تسرب جزء كبير من الماءالى باطن الجبل بدلا من نزوله الى المصارف.

وهذه احدى النقاط الهامة التى فات المهندسون الاهتمام بها ، كما سلف فى مشروع بحيرة الخساف . فالمادة البركانية فى الهضبة ومنحدراتها تختلف عن السلسلةالفقرية لجبل شمسان ، حيث تتكون من صخور صلبة ، فالهضبة ركام بركانى تتكون من صخور ينفذ منها الماء.

واهمل ذلك ايضا ، ويمكن ملاحظة هذه الشقوق فى الجبال عميقة وعارية من الجص الذى كان يملؤها ، فتسرب جزء من الماء الى الجبل .

وقد لوحظ فى السنوات الاخيرة ، ان الماء لم يعد يبقى فى الصهريج

المربع (كوجلان)- بعد ان تخرب بعض الجص فى قاعه - بل يتسرب الى بطن الوادى فى ايآم بدلا من اشهر.

٣ . نسفت بعض المصارف على غرب الوادى وشرقه ليحل محلها اضخم الصهاريج الموجودة :صهريج كوجلان ، وجصص بنفس طريقة الصهاريج . ولازال اثار سلسلة الصهاريج القديمة الذى حل محلها هذا الصهريج ، باقية يدل عليها بقية من الجص على الجبل .

٤ .ابعدت سلسلة الصهاريج الذى كتب عنها كوجلان ، وانها كانت بعض مئات من الاقدام فى اتجاه شرقى نحو المدينة ولعلها الصهاريج التى رمز اليها بليفير (C, D, E, F, G)، والتى اشارفي جدوله انها ضمن الصهاريج التى تصب فى صهريج (بليفير)وبدلا من ان يسير الماء الى صهاريج المدينة. ترك ليصب من رقم (٦)مباشرة الى صهريج كوجلان.

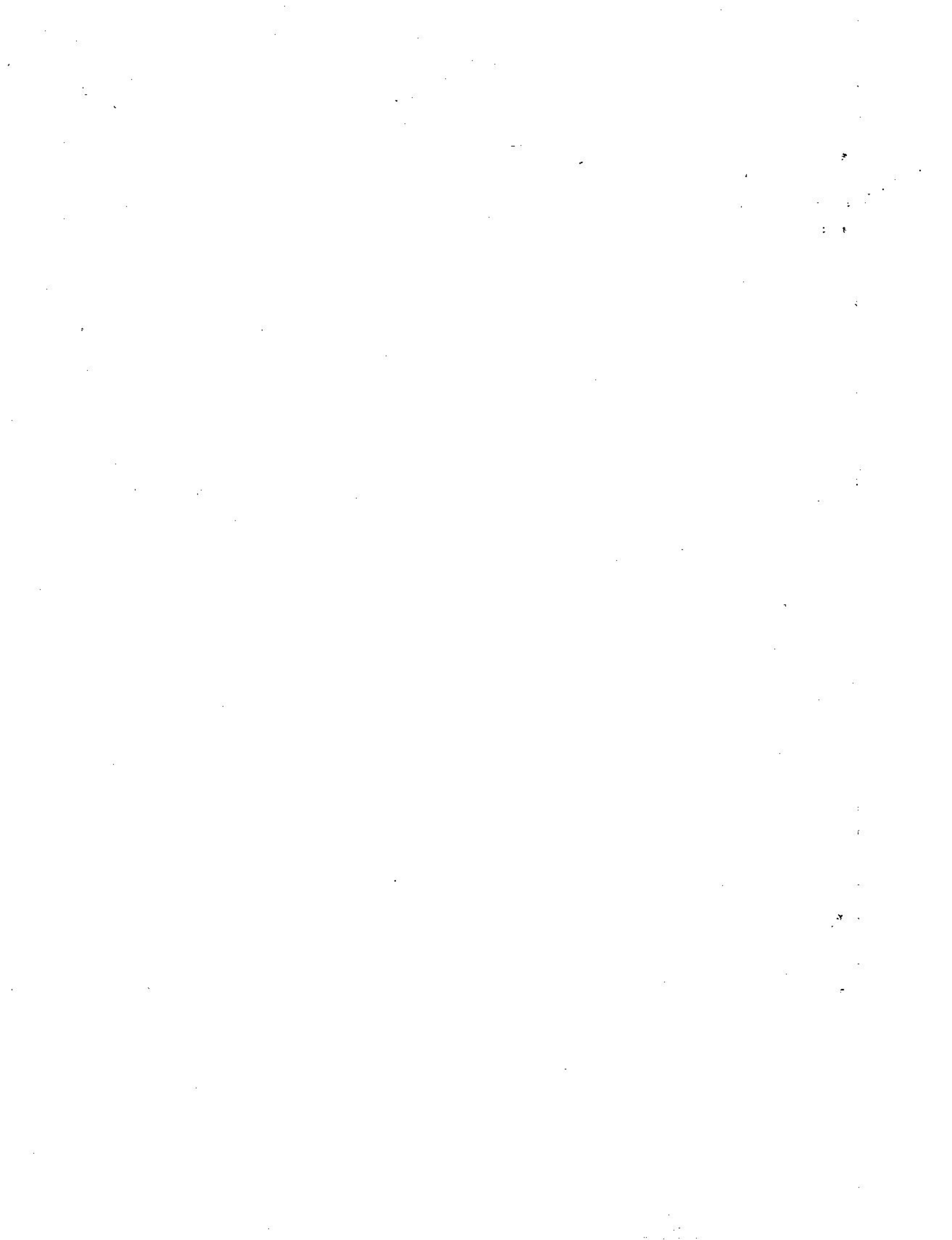
٥. استبدل بصهاريج (٨ و ٨١/٢)فى جدول بليفير والتى كانت تربط بين (٧، رقم ٦ حالياً ورقم ٩ ، بقناة تصب فى كوجلان مباشرة . وبذا يصبح كوجلان مجمعا لكل مليصب فى اعالى الوادى

٦. اختف الصهريجان المرمز اليهما A,Bمن بئرخلاد وهو بئر لازال موجودا بالقرب من كوجلان وهى صهاريج ربطت مارمزاليها بـ (٨) ورقم (٩ ، ١٠) وانقطعت الصلة بين كافة المصارف غربالوادى والمنتهية عند كوجلان، ومانزل من ماء لحق بالقناة المستجدة بين صهريجى كوجلان وبليفير .

٧. ورفعت بعض جدران الصهاريج لاستقبال اكبر كمية من الماء. فعكس هدفها من مصارف لتصريفه الى خزانات له.

وقضى هذا الترميم والتعديل الشامل على كل اثر يستدل به على ماقصده القدماء من بنائها ، ولم يبق فيها اى نقش ، او اشارة يعتمد عليها فى

الوصول الى حقيقتها ، وغدت لغزا غامضا ، ومرتعا للتكهنات.



خاتمـة

نسب كثير - ممن كتب عن الصهاريج - بناءها الى عهود مختلفة من تاريخ المدينة : كالعثمانيين ، والرسوليين ، والفرس ، والحميريين . وتنفي كتابات إبن بطوطة بشكل قاطع نسبتها الى العثمانيين ، فقد رآها ثلاثة قرون قبل وصولهم الى اليمن .

وتنفي كتابات إبن المجاور نسبتها الى الرسوليين وحدهم ، فقد رآها في السنوات الأولى من حكمهم متخذة تسميات سبقت عهدهم . فنسب أحد الصهاريج على الأقل الى بني زريع . ويؤكد ذلك بشكل قاطع ما كتبه المقدسي في مطلع القرن الرابع - العاشر أن في عدن آبارا وأحواضا للماء موحيا بوجود الصهاريج في وقت مبكر من تاريخ المدينة الإسلامي .

ويبدو إن من نسب بناءها الى الفرس إعتمد على ما كتبه ابن المجاور .وقد نسب كثير من المنشآت الهامة في عدن اليهم . ويفيد بأن أهل سيراف هجروا سيراف ، وإستوطنوا مدينة عدن . ولم يكونوا - كما يبدو من وصفه - مهاجرين اليها للإقامة ، ولكن كونوا دولة استعمرت المدينة . بدأت بملك سماه سلطان شاه بن جمشيد بن أسعد بن قيصر ولقبه بعشرات الألقاب ، احداها أمير المؤمنين . « فانعمر الموضع بمقامه ، وكان يجلب اليهم ماء الشرب من زيلع . فلما طال عليهم البعد بنى الصهريج لأجل ماء الغيث . ونقل طين البناء من أبين ، وقيل من زيلع »(١) .

ولا يعرف متي تم إستيطان أهل سيراف للمدينة ولا يعرف عن دولة للفرس حكمت اليمن عدا تلك الدولة التي نشأت لفترة وجيزة ، نتيجة للدعم العسكري الذي طلبه سيف بن ذي يزن ، قبيل دخول اليمن في الإسلام لطرد الأحباش منها . الا ان هذه دولة وثنية باستثناء آخر ملوكهم (باذان) الذي دخل الاسلام .

اما الدولة التي يصفها ابن المجاور فهي فارسية اسلامية لقب ملوكها بافخم الالقاب بما فيها امارة المؤمنين . ويوحي بانها حكمت عدن في العصور الاسلامية .

وهناك مؤشرات قوية ان عدن كانت الى القرن الرابع تحت قبضة الابناء . فقد بقي لهم نفوذ في نواحي اخرى في اليمن . ويفيد المقدسي في ذلك العصر ان أغلب سكان عدن كانوا منهم .(٢)ولا يبدو ان ابن المجاور قصدهم فهؤلاء وان كانوا من أبناء الفرس الذين جاءوا في الحملة مع سيف بن ذي يزن ، الا انهم انصهروا مع اليمنيين ، فلم يعد يطلق عليهم فرسا ، وبعد بضعة أجيال صاروا من أهل اليمن ، وانقطعت علاقتهم بفارس . ومن الواضح ان من قصدهم ابن المجاور لا وجود لهم .

وهذا أيضا ينفي نسبة بناء الصهاريج الى الفرس . ويصبح نسبتها الى الحميريين او غيرهم من الدول اليمنية ، أمر جدير بالاعتبار .

الا ان ابن المجاور - على الرغم من شطحاته في التأويل ، والتفسير للاحداث بما يجعلها أقرب الى الخرافات والأساطير - ناقل أمين لما يرى وما يسمع ، وكان أكثر من غيره دقة في نقل ما رأى وسمع عن الصهاريج . فيبدو جليا أن الناس كانوا يميزون بين هذه الصهاريج المنتشرة في المدينة ، وهذه المصارف (ويبدو أن أهل المدينة سموها بالصرائف) في بطون الوديان لتتلقف الماء النازل من الجبال ، وتصريفه الى هذه الصهاريج . وهذان النظامان ، وان اختلفا في الهدف ، الا ان كلا منهما مكمل للآخر . فلا معنى لوجود

(المصارف) ان لم توجد صهاريج لخزن الماء الذي يرد منها ولا فائدة من كثرة هذه الصهاريج ان لم توجد وسيلة لتصريفه اليها . وبهذا المفهوم يصبح تتبع تاريخ المصارف ، والصهاريج كنظامين مختلفين ، متكاملين ، أيسر من ذي قبل .

فالصهاريج كوسائل لخزن الماء ، موجوده في أي زمان ومكان ، ويمكن توفرها في المناطق الشحيحة للماء ، أو الغنية به . ويشيدها الناس في أي موقع ولأي سبب يستوجب خزن الماء . اما لجمعه بغية تصريفه الى المنازل ، أو لتكريره وتصفيته قبل شربه . وتحدد - الجدوى الاقتصادية لها -

ولا مبرر لوجود شبكة واسعة من الصهاريج في مدينة عدن ، إن لم توجد وسيلة لتوصيل مياه الأمطار - بعد تجميعها - اليها . فلا يمكن أن تمتلئ بتلقي مياه الأمطار مباشرة ، في بلد شحيح بالمطر ، ينزل فيه بقلة وفي مواسم متباعدة جدا . ولذا أصبح وجود المصارف ضرورة لابد منها ، لجمعه وتصريفه .

ومصارف الطويلة - خلافا للصهاريج - لايمكن أن توجد في أي زمان ومكان . فهناك عوامل تتحكم في وجودها ، ومواقعها : طقسية ، وطوبوغرافية . ولها تقنية خاصة تختلف عن الصهاريج ، إذ هي معلقة في بطون الجبال ، تنحدر الى جوفها أطنان من الماء والحجارة والطمي . ووجود تقنية كهذه تسمو لتنفيذ هذا الغرض ، دليل على تقدم حضاري ، وإبداع نادر .

ويّرجع إبن المجاور هذه المصارف أو (الصرائف) الى عهود قديمة حتى بالنسبة لعهده ، ولزيارته لعدن ، وقد زارها قبل سبعة قرون .

أما قدمها ، فأمر مفروغ منه ، أقل ما يؤكده وجود الصهاريج التي تعتمد عليها في عهود قريبة من صدر الإسلام كما سلف . الا أن الوصول الى عهد بعينه يمكن أن يرجع تشييدها اليه ، فأمر غاية في الصعوبة فلا يوجد حالياً

تاريخ اليمن المكتوب اي إشارة الى وجودها ، أقدم من مطلع القرن الرابع / العاشر.

ودرج الباحثون عند الوصول الى هذه النقطة ، اللجوء الى دراسة أنظمة مشابهة قد عُرِف عهد بنائها . ومقارنة أوجه الشبه في التقنية بينهما . وهو أمر مشروع عند عدم وجود أية مصادر أكيدة بديلة ، واسلوب مقبول لدى المشتغلين في الآثار أن يقارنوا مع ما تحت أيديهم بدراسة معالم شبيهة بها ، في مناطق مجاورة شملتها حضارة واحدة . الا أن اعتبار نظام الطويلة صهاريج للخزن جعل هذه المقارنة عديمة الجدوى ، والاجدر مقارنتها بما يشبهها من مصارف .

وفي دراسة قامت بها البعثة اليمنية السوفيتية عن التنقيب في آثار ريبون في ١٩٨٣ ـ ١٩٨٥ ، كتب جريزنفيتش ما يلي :ـ

« أظهرت دراسة الري في ريبون القديمة ، أنها تعتمد على الأمطار الموسمية ، توجه عبر قنــــوات رئسية ، ونظام لتوزيع الماء الى المزارع». (٣)

ويستطرد التقرير لوصف نظام ، هو أقرب الى نظام الطويلة بعدن ، ويؤدي نفس الغرض .

« وقد فحص الباحثون ، مصارف في سفوح الجبال ، كانت تتلقف الماء المنحدر منها لتوجهه الى المزارع » . ولا يختلف النظام الذي وصف آنفا عن نظام الطويلة عدا أن المياه تتجه الى صهاريج المدينة بدلا من المزارع .

وتدل الحفريات في ريبون ، أن حضارتها ربما دامت فترة طويلة تخللتها فترات إنحطاط حتى زالت بفعل حريق : من القرن الثامن قبل الميلاد الى القرن الثالث بعده . وهذه فترة يقبلها كثير من دارسي الحضارة والنقوش اليمنية لعصور التاريخ اليمني القديم والحضارة اليمنية القديمة من خلال ما توفر

حاليا من حفريات آثارية ، أو مقارنات باليوجرافية . ولا يعرف على وجه اليقين في أي عهد من هذه الفترة تم فيها إنشاء هذا النظام في ريبون ، وبالتالي هذا النظام المقارن به في الطويلة .

وإذا كان من الصعب إتخاذ الحد الأقصى من هذه الفترة تاريخا لنظام الصهاريج ، ومصارف الطويلة ، الا انه ربما رآها شاهد عيان في منتصف القرن الثاني : قرن ونصف قبل حدها الأدنى .

فقد كتب صاحب الطواف للبحر الاريتري بعد خروجه من اوكليس (الشيخ سعيد) ووصوله الى العربية اليدمونية (عدن) ما يلي :-

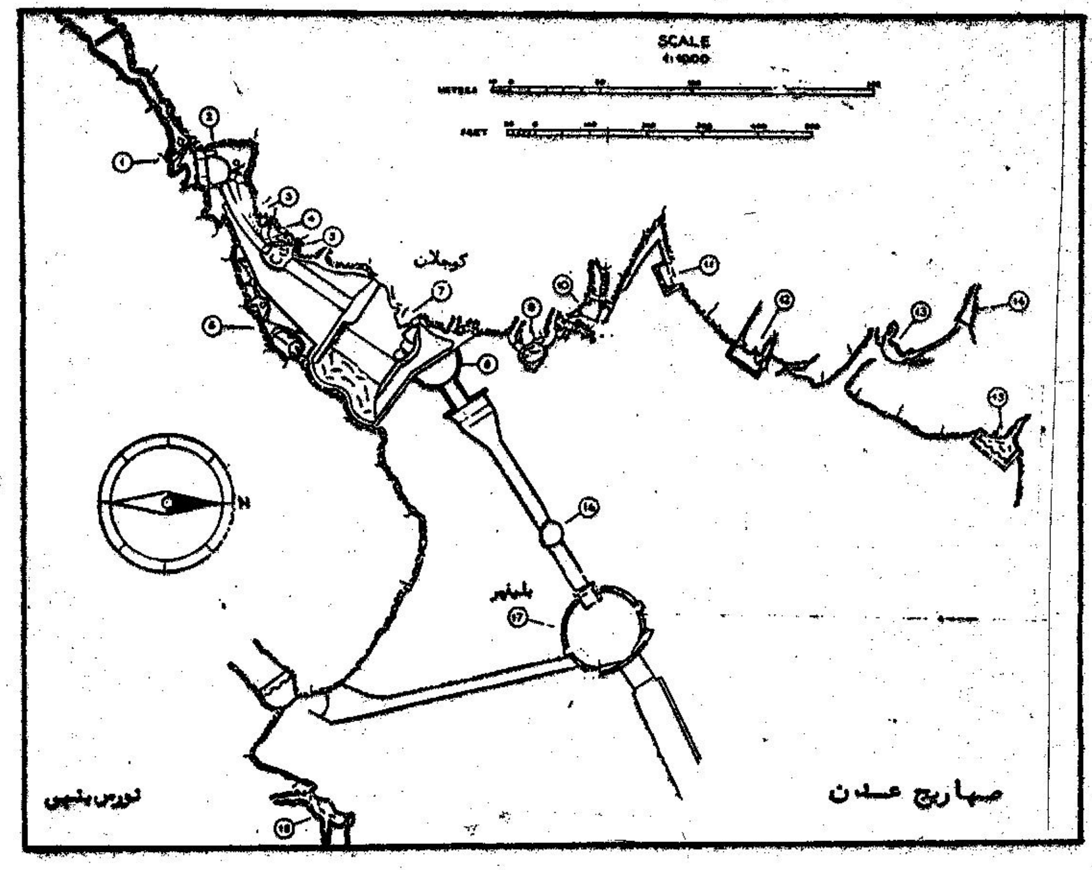
« قرية على الشاطئ ، تحت حكم كرب إيل ، فيها مرسى قريب ، وأماكن للتزود بماء ، أفضل وأعذب من اوكليس ، وتقع (عدن) في مدخل خليج ، وينحسر البر عنها .(٤)

وهذا وصف ينطبق الى حد كبير على عدن ، إذ ينحسر البر عنها فهي وصف لها بأنها جزيرة ، أو شبه جزيرة . وفيها مدينة لها ميناء مناسب لرسو السفن ، ومواضع للتزود بالماء العذب .

ولا يوجد ماهو أعذب من ماء المطر ، يهطل على صفا شمسان ، منحدرا كشلال الى هذه المصارف في وادي الطويلة ، متحدا في قنوات لتمتلئ به صهاريج المدينة بالماء العذب ، تنتعش به وتستمر الحياة في هذه الصخرة القاحلة المعزولة ، وتنعم بالاستقرار والرخاء : سمة العربية اليدمونية ، العربية السعيدة ، وثغر اليمن المحروس .

خارطة رسمت بناء على ما ورد في جدول بليفير وقد اختفت كافة الصهاريج المرمز اليها بالاحرف الابجدية ما عدا (I) ويلاحظ وجود قناه ما بين الصهاريج بين شرق الوادي وغربه لا وجود لها الآن .

الخارطة
المرفقة
بتقرير
نورس وبنهي



الجداول

مقارنة بين خارطة نورس - بنهي (الصهاريج حالياً)
وبين جدول (A) لبليفير

جدول بليفير	جدول بنهي	ملاحظات
١	١	في رأس الوادي (ابو سلسله)
٢	٢	تحت الجبل الغربي للوادي ومتصل برقم (١)
٣	٣	تحت الجبل الغربي للوادي ومتصل برقم (٢)
٤	٤	تحت الجبل الغربي للوادي ومتصل برقم (٣)
٨ ½	٥	يصل عند بليفير بين رقم (٤) ورقم (٨) وبقناة عبر الوادي الى رقم (٧) في الجانب الشرقي.
٥ ٦ ٧	٦	متصلة ببعضها شرق الوادي .جمعها بنهي في رقم واحد .ولا صلة بينها وبين رقم (١) .

٨	٨	غرب الوادي متصلا ب (٤) لا وجود له الآن ولا يرد في خارطة نورس - بنهي .
٩	٩	غرب الوادي .
١٠	١٠	غرب الوادي .
١١	١١	خارج الوادي .
-	٧	صهريج ضخم في وسط الوادي يملأ الفراغ كله بين الجبلين . لم يوجد في تقرير بليفير وسمي الصهريج المربع أو (كوجلان) .
-	٨	صهريج يصب فيه رقم (٧) ، لا يوجد في تقرير بليفير .
-	١٦	صهريج يتصل ب (٨) عبر قناة تمتد الى رقم (أ) . لا يوجد في بليفير .
(A)	-	ذكرهما بليفير ، وان موقعهما قرب بئر (خلاد) في
(B)	-	الجانب الغربي على بعد بضعة امتار من صهريج كوجلان ، ولازال موجوداً . ولا يوجدان في قائمة ، فقد هدما .
-	١٧	صهريج بليفير خارج الوادي رمز ب (أ) في جدول (B) لبليفير

والى هنا يتوقف الانسجام النسبي بين أوصاف بليفير وخارطة نورس - بنهي .

جـدول (A)

صهاريج تم ترميمها كاملاً

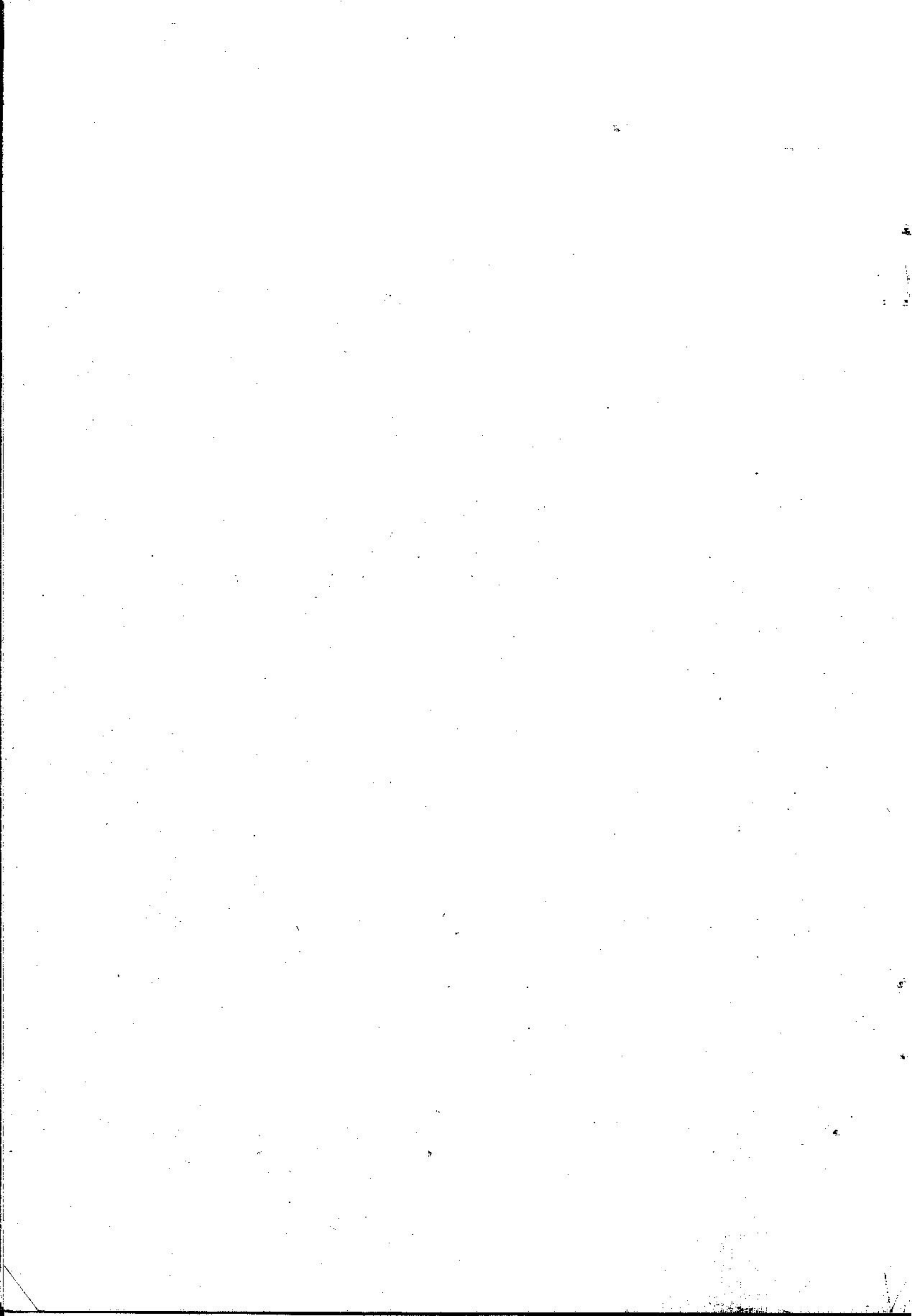
الرقم	طول	عرض	عمق	السعه	الملاحظات
١	١٥٠	٦٠	٤٠	١,٥٠٠,٠٠٠	على رأس وادي الطويلة
٢	٣٣	٢٠	٢٨	٥٤,٣٢٥	غرب الوادي ، بجوار (١) ومتصل به عبر قناة (١)
٣	٣٠	٣٤	٢١	٢٩,٨٧٥	غرب الوادي ، ومتصل برقم (٢)
٤	٤٥	٤٦	٢٧	١٨٨,٦٩٣	غرب الوادي ومتصل برقم (٣)
٥	٧٤	٣٠	٢٠	٩٣,٠٠٠	شرق الوادي بجوار رقم (١)
٦	٤١	٢٦	٢٥	٥٨,٠٠٠	شرق الوادي ، بجانب رقم (٥) ومتصل به
٧	٧٥	٣٠	٢٣	٩٥,٩٨٧	شرق الوادي بجانب رقم (٦) ومتصل به
٨ ١/٢	٢٦	١٦	٩	٢٢,٤٨٤	غرب الوادي ، صهريج صغير يمنع سقوط الأحجار إلى رقم (٨) متصل عبر قناة إلى رقم (٤) وبأخرى عبر الوادي إلى رقم (٧)
٨	٨٠	٧٠	٢٦	٥٠٨,٩٤٠	غرب الوادي متصل برقم ٨١/٢
٩	٣٩	٢٩	١٤	٥٢,٥٠٠	غرب الوادي
١٠	٤٣	٢٩	١٧	٧٥,١٨١	غرب الوادي متصل بـ (٩)
١١	٩٩	٥٩	٢٨	٣٢٨,٠٠٠	غرب الوادي وخارجاً عنه
١٢	٣٣	١٨	١٥	٤٥,٠٠٠	شرق الوادي ، وخارجه مطل على مقبرة الفرس
١٣	٧٤	٧٠	٣٣	٤٨٦,٧٥٠	صهريج مستقل في جبال المنصوري على حوش الكنيسة (صهريج البادري)

جدول (B)

قائمة بالصهاريج المكتشفة ولكن لم يتم ترميمها نهائياً

رقم	السعة بالجالون	ملاحظات
A	١٥,٧٥٥	في وادي الطويلة بالقرب من بئر خلاد
B	٥٤,٣١٥	في وادي الطويلة بالقرب من بئر خلاد
C	٤٢,٠٠٠	خزانين ،صغيرين ،متلاصقين في الركن الجنوبي الشرقي من وادي الطويلة .تم تصفيتها ،ولكن لم يتم ترميمها .
D	٣٥,٠٠٠	بجانب (C) ،لم يرم .
E	٢٢,٠٠٠	بجانب (D) ،لم يرم .
F	٣٢,٠٠٠	بجانب (E)
G	٦٠٠,٠٠٠	خلف معبد الفرس ،تمت تصفية جزء منه .
H	٢٠٢,٨٦٠	يسبق (I) ،ويتلقى عنه الطمي والحجارة .لم يرم .
I	٤,٠٠٠,٠٠٠	اكبر الصهاريج المكتشفة ،يقع خارج الوادي وتصب فيه كافة الصهاريج من (١) الى (١٠) من جدول (A) ،وكافة الصهاريج اعلاه .لم يرم بعد .
J	١,٥٠٠,٠٠٠	بعد (I) ويصب فيه .لم يتم ترميمه .
K	٣٨,٧٥٠	صهريج صغير .يمنع نزول الحجارة والطمي في (J) .لم يرم .
L	٣٠٠,٠٠٠	خلف معبد الفرس .تخرب نهائياً .

M		صهريج يقع فيه بستان الفرس .
N		فوق مقبرة اليهود .
O	٧,٠٠٠	فوق ثكنات سيندي
P	٨,٠٠٠	بجانب (O) .
Q		صهريج كبير .فوق المحارق .مخرب .
R	٢٦٠,٠٠٠	فوق المحارق .
S		صهريج صغير .تحت (R) .
T		صهريج كبير ،تحت (S) .لم تتم تصفيته .لعل سعته مليون جالون .
U	٣٤٠,٠٠٠	صهريج كبير قريب من R
V	١١٦,٠٠٠	فوق (U)
W	١٩٠,٠٠٠	بجانب (U)
X	٣٢٠,٠٠٠	بجانب (W) .مخرب .
Y	٣٢٠,٣٠٠	بجانب رقم ١١ من جدول (A) .
Z	٨٤,٠٠٠	فوق (Q) .
a		فوق مخازن المهندسين .
b		فوق ثكنات قوات المحلية .
c		في ثكنات القوات المحلية .
d		ثلاثة صهاريج في ثكنات القوات المحلية .
e		صهريج كبير في وادي العيدروس .
f		صهريج صغير فوق وادي العيدروس .
g		بقرب بيت عبدالله ماطر (يقال انه كان قريباً من مسجد بانصير .شارعين وراء شارع الزعفران .
h		قريب من ثكنات سبندي .
i	١٠,٨٠٠	قريب مركز الشرطة .كان المركز على السائلة قرب العيدروس .
Z	٢٥,٠٠٠	في حجيف .



الهـوامش

المسح التاريخي

١. نقشCIH 50 4مود ع في متحف اللوفر، باريس.
٢. صفة جزيرة العرب ص. (٩٤)
٣. لا ترد كلمة (بؤور) في أي من القواميس المتداولة . وفي المعجم السبئي يرد فعل (بأر) بمعنى بنى بئراً أو صهريجاً .كما وردت (ابؤر) في كافة المعاجم الى جانب (بئار ،وآبار) كجمع لبئر.
ومن المحتمل أن ما قصده الهمداني ب (بؤور) معنى آخر غير الآبار :كصهريج ،أو حفرة ،أو بركه .والأغلب انها جمع بئره .ويفسر القاموس (بئره) بانها الحفرة لخزن الشئ .و
حين وردت هذه الكلمة في صفة جزيرة اوحت بان لها معنى البرك والصهاريج وليس الآبار .
وردت كلمة ابؤر وبؤور في جملة واحدة عند شرح الهمداني لارجوزة الرداعي .- « ابؤر وهو يريد بئر الخولاني ،لأن الموضع يسمى بهذا الأسم (أى بئر الخولاني) ، وفيه بؤور» صفحة (٢٥٩) . أى أن الموضع فيه آبار ، وبؤور ، مميزاً بين آبار وبؤور .
٤. اعتادت عدن منذ القدم على نوعين من الماء :عذب للشرب ، يجلب من خارجها ، أو ما تجمع في هذه البرك من مياه الأمطار .ومالح أو مشوب بالملوحة للغسل أو الوضوء يجلب من بعض آبارها .والى منتصف القرن

العشرين كان وضوء الناس من برك المساجد ، تملأ من هذه الآبار المالحة .
وكان السائقون يبيعون هـذين النوعين مـن الماء اضافة الى الماء المقطر .

٥. المقدسي ص. (٨٥)
٦. إبن المجاور ص. (١٣٢)
٧. نفسه ص. (١٢٤)
٨. إبن بطوطه ص. (١٦٨)
٩. الخزرجي لتقصى هذه الحروب أنظر صفحة (٤٣١ الى ٤٩) من العقود اللؤلؤية الجزء الثاني .
١٠. الفضل المزيد ص. (٢٣٢)
١١. نفسه ص. (٢٩٠)
١٢. DURATE BARBOSA ص. (٥٤)
١٣. SALT ص. (١٠٧)
١٤. PLAYFAIR ص. (٧)
١٥. النهروالي ص. (١٠٢)
١٦. نفسه ص. (١٩٠)
١٧. الموزعي ص. (٨٩)
١٨. JOURDAIN ص. (٧٤)
١٩. الجرموزي.
٢٠. LA ROQUE ص. (٤٩)

المسح الطوبوغرافي

١. ورد ذكر شمسان في (قلادة النحر) لإبي مخرمه ، في حوادث سنة ٩٢٣ عندما احتلت المماليك المصرية قلعة صيره ، وأن قذائف مدافعهم تصل الى سفح شمسان .
٢. يفيد الهمداني في الصفة (١١٦) أن بداية جبل السراة في اليمن هي المعافر ، فحيق بني مجيد ، فعر عدن .
٣. إبن المجاور ص. (١٢٤)

٤. تغر عدن ص. (٩)
٥. B. DOE ص. (١٢٥)
٦. المقدسي ص. (١٠٢)
٧. WELLESTED ص. (٣٩١)
٨. B. DOE ص. (١٨٧) شاهد
٩. ثغر عدن ص. (٢٤٦)
١٠ إبن الديبع . الفضل المزيد ص. (٢٩٠)
١١. مذكرات البوكرك .
١٢. إبن المجاور ص. (١٣٣)
١٣. PLAYFAIR ص. (٦)

المسح الآثاري

١. SALT ص. (١٠٧)
٢. PLAYFAIR MEMORANDUM ص. (٣٢)
٣. WELLESTED ص. (٣٩١)
٤. HAINES ص. (١٣٥)
٥. DOE ص. (١٩١)
٦. SKETCHES ص. (٢٣)
٧. KOURf8041 ص. (٥٨)
٨. NORRIS & PENHEY ص. (١٢)

صهاريج الطويلة

١. NORRIS & PENHEY ص. (٢٠)
٢. نفسه ص. (٢٢)

١. PLAYFAIR MEMORANDUM ص. (٣٣)
٢. PENHEY ص. (١٤)
٣. نفسه ص. (١٤)
٤. نفسه ص. (٢٢)
٥. الجندي ص. (٣٥٨)
٦. KAY ص. (٢٦١)
٧. إبن المجاور ص. (١١٦)
٨. نفسه ص. (١١٧) .لا يوجد في القاموس معنى واضح لكلمة صرائف على وزن فعائل .فمفردها إذاً فعيل بتاء التانيث أو مجرد منها ،كصريفة وصريف .وأصلها من الفعل (صرف) وتتخذ كلمة صرف ومشتقاتها معان شتى احدها التحويل من جهة الى أخرى .كتصريف الرياح ، وصرفه أى رده .

واستعملت كلمة مصارف كجمع لمصرف :وسيلة لتحويل الماء وتوجيهه جهة أخرى .والعلاقة اللفظية واضحة بين مصرف وصريف أوصريفه .وأن اتخذت (صريفه) ايضاً معنى سعف النخل .إلا أن القاموس يجمعها بهذا المعنى على (صريف وصروف وصراف) وليس على (صرائف) ويبدوا من سياق كلام إبن المجاور عن المنشآت التي نسبها الى أهل القمر ومبنية بالحجارة والجص ، ان الصرائف من جملة هذه المنشآت.

الترميم

١. KOUR ص. (٥٤)
٢. PLAYFAIR MEMORANDUM ص. (٣٦)
٣. HUNTER ص. (١٦٧)

٤. PLAYFAIR MEMORANDUM ص. (٣١)

٥. نفسه ص. (٣١)

٦. KOUR ص. (٥٥)

٧. نفسه ص. (٥٥)

٨. نفسه ص. (٥٦)

٩. PLAYFAIR MEMORANDUM ص. (٣١)

١٠. PENHEY ص. (٢٢)

١١. نفسه ص. (٧)

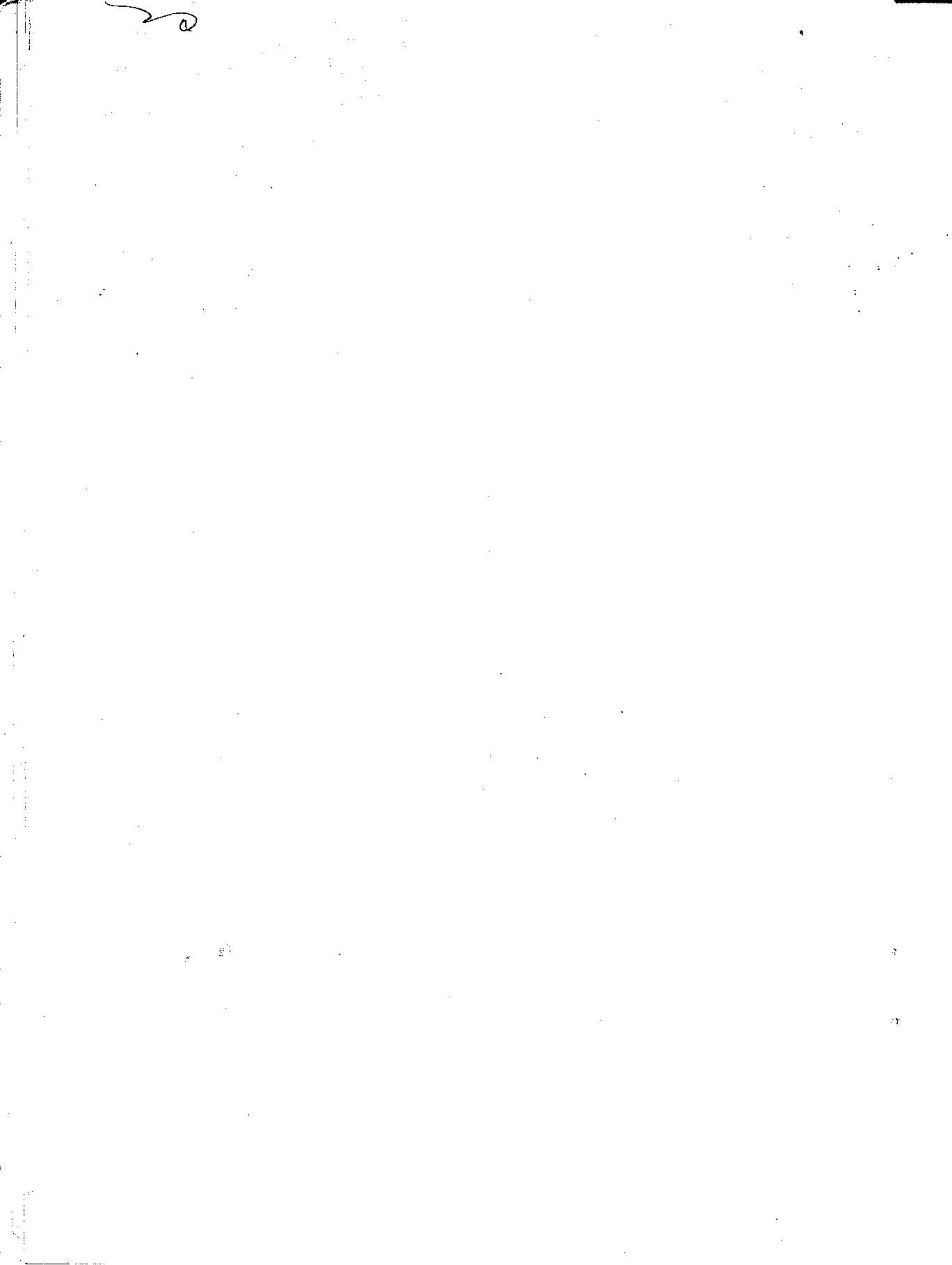
خاتمة

١. إبن المجاور ص. (١١٧)

٢. المقدسي ص. (٩٦)

٣. P.A. GRYAZNEVICH ص. (٦)

٤. THE PERIPLUS ص. (٣١)



المـراجع العربيـة

إبن الدبيع
الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد
إبن الدبيع الشيباني
تحقيق: الدكتور محمد عيسى صالحيه
الكويت ١٩٨٣.

الخزرجي
العقول اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية
علي بن الحسن الخزرجي
تحقيق: محمد بن علي الاكوع
بيروت ١٩٨٣.

إبن المجاور
تاريخ المستبصر
يوسف إبن يعقوب إبن المجاور
تحقيق: اوسكار لوفجرن
ليدن ١٩٥٢.

باعخرمه
تاريخ ثغر عدن
عبدالله الطيب باعخرمه
تحقيق: اوسكار لوفجرن
ليدن ١٩٣٦.

إبن الديبع
قرة العيون في أخبار اليمن الميمون
عبدالرحمن بن علي إبن الديبع
تحقيق: محمد بن علي الاكوع
القاهرة ١٩٧٧.

المقدسي
احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم
ليدن ١٩٠٦.

الهمداني
صفة جزيرة العرب
الحسن بن احمد الهمداني
تحقيق: محمد علي الاكوع
بيروت ١٩٨٣.

إبن بطوطه
تحفة النظار في غرائب الأمصار
محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي
كتاب التحرير ١٩٦٦.

النهروالي
البرق اليماني في الفتح العثماني
قطب الدين محمد بن الحمد النهروالي
تحقيق: الشيخ حمد الجاسر
دار اليمامة ١٩٦٧.

الموزعي
الاحسان في دخول مملكة اليمن تحت عدالة آل عثمان
تحقيق: عبدالله محمد الحبشي
وزارة الاوقاف، صنعاء.

الجندي
السلوك في طبقات العلماء والملوك
محمد بن يوسف الجندي
تحقيق: القاضي محمد بن علي الاكوع
بيروت ١٩٨٣

بامخرمه مخطوط
قلادة النحر في وفيات اعيان الدهر
عبدالله الطيب بامخرمه
مكتبة الاحقاف. تريم.

الجرموزي مخطوط

تحفة الاسماع والابصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار
المطهر بن احمد الجرموزي
مكتبة الاحقاف . تريم

المراجع الأجنبية

ALBOQUERQUE
Commentraries of Alfonso alboquerque
Haklut Society

DOE
The First Days of British in Aden
James Kirkman and Brian Doe
Arabian Studies. Vol. 2 , 1976.

P.A. GRYAZNEVICH
History and Culture of Hadramaut.
Problems of Study in the Light of Discoveries of the Soviet Yemeni Expedition in the years 1983 1985.
Moscow 1986

HAINES
Memoirs to accompany a chart of the South Coast of Arabia.
Capt. S.R. Haines
Geographical Journal, Vol.9, 1839 (125 156)
London.

HUNTER
An Account of the British Settlement in Aden
Capt. F.M. Hunter
Frank Cass & Co. Ltd.
1968.

JOURDAIN
Journal of John Jourdain
Hakluyt Society.

KAY
Yaman
Henry Cassels Kay
London, 1891.

KOUR
The History of Aden
Z.H. Kour
London 1981

LA ROQUE
Voyage to Arabia the Happy,
La Roque,
London 1730

NORRIS & PENHEY
An Archaelogical and Historical Survey of The Aden Tanks.
H.T. Norris & F.W. Penhey
Aden, 1935

PLAYFAIR
A History of Arabia Felix or Yemen.
Capt. R.L. Playfair
Bombay, 1859.

PLAYFAIR
A Memoir of the Ancient Reservoirs of Aden
R.L. Playfair.

SALT
Voyage to Abyssinia and travels into the interior of that country.
Henry Salt
London, 1809

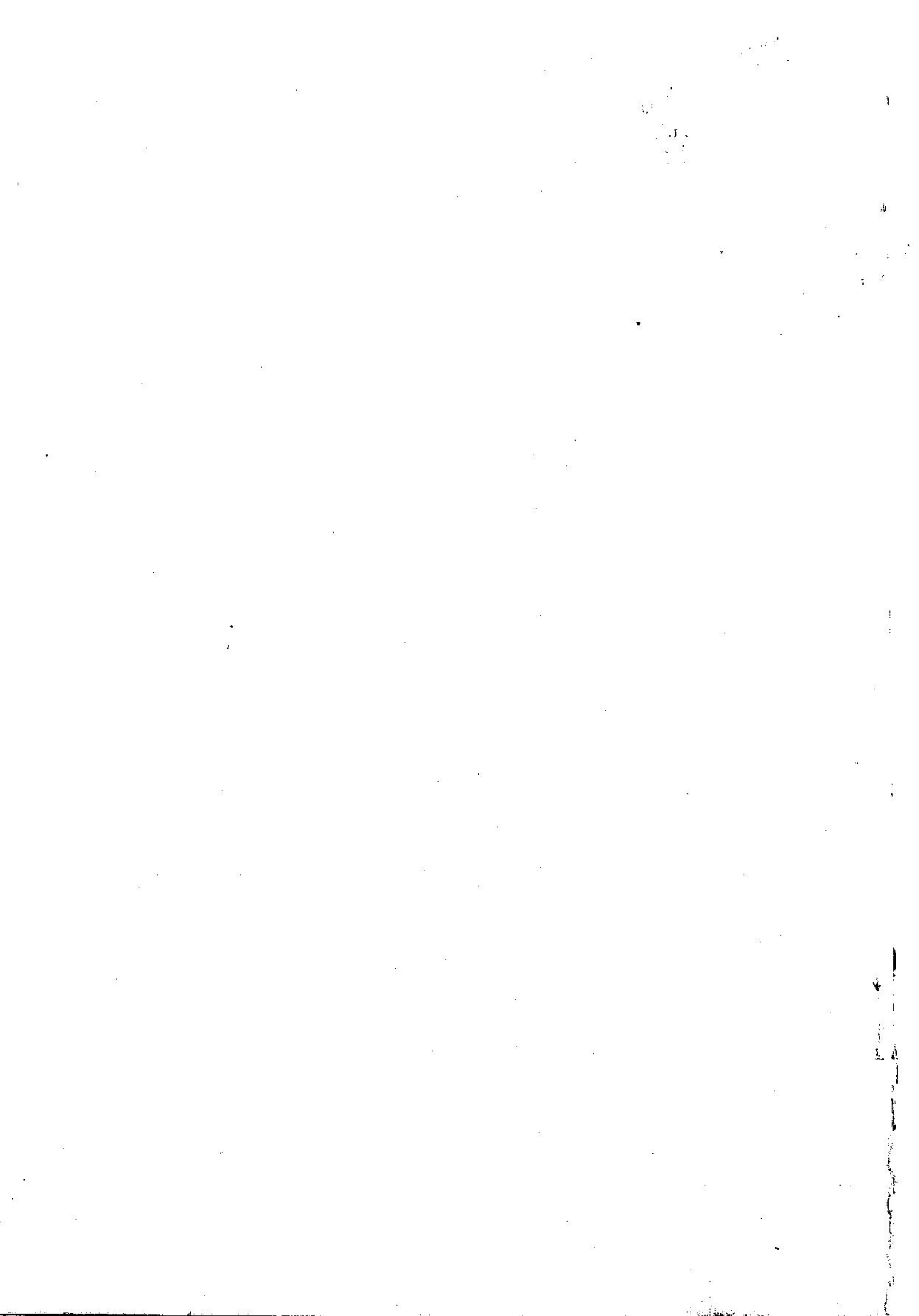
RESENDIUS
Epitome Rerum gestraum in India a Lusitanis
Damiano a Goes Equite Lufitano
1530.

SKETCHES
Historical and Stastical Sketches of Aden in Arabia Felix
during a two years residence in that colony.
An Officer in the Queen's Army.
Madras,
1848.

WELLSTED
Travels in Arabia, Vol. 2
J.R. Wellsted
Austria, 1978.

شكر

يشكر المؤلف من ساعده في إخراج هذا الكتيب وبالأخص الأخ إد. احمد باطايع الذي رسم خرائط الكتاب والأخ أعبدالكريم سعيد العمودي الذي قام برسم الشكل التخيلي للصهاريج . والأخ أمحسن عبده قاسم للقيام بتصوير مواقع الطويلة .



المحتويات

الموضوع	الصفحة
ـ تمهيد	٥
ـ مسح تاريخي	١٣
ـ المسح الطوبوغرافي	٢٣
ـ مسح آثاري	٣٧
ـ صهاريج الطويلة	٤٩
ـ مصارف للماء ام خزانات	٥٥
ـ الترميم	٦٣
ـ خاتمة	٧١
ـ الجداول	٨٣
ـ الهوامش	٨٩
ـ المراجع العربية	٩٥
ـ المراجع الأجنبية	٩٨
ـ شكر	١٠٢
ـ المحتويات	١٠٤